ألم العقل

أبو العقل

علي جبار

اسم الكتاب اله العقل

تأليف : علي جبار

سنة الطبع :2022

الناشر :دار أيام للنشر والتوزيع

الإخراج الفني :فريق دار ايام

لا يجوز نشر اي جزء من هذا الكتاب او تخزين مادته بطريقة الاســـترجاع او نقله على اي نحو او بأي طريقة كانت الكترونية او ميكانيكية او بالتصـوير او بالتســجيل او بخلاف ذلك الا بموافقة كتابية من المؤلف او الناشر

ملاحظة:الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب حصرًا ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

دار ايام للنشر والتوزيع

العراق / بغداد/07739451601-

Dar-ayam

المقدمة

أنها مجموعة تساؤلات أو افكار تجوب في ذهني فكتبتها وجمعتها في هذا الكتاب، في هذا الكتاب سنتحدث في البداية عن وجود الله و صفاته، ثم أن كيف مسألة الله خارج الزمكانية والعقل لا يمكن له ادراك ما هو خارج الزمان والمكان، ونذكر أهم الأدلة العقلية التي تستخدم لأثبات وجود الله، ونذكر مشاكل هذه الادلة والردود عليها، ونذكر الأدلة والتي تعد الأفضل على إثبات وجود الله سبحانه وهي الدليل الأخلاقي والفطري، وسنتطرق إلى صفات الله ونذكر بعض الإشكالات الواردة، ثم نتحدّث عن بعض المشاكل والتي يعتبرها البعض سببا لألحادهم كمشكلة الشر، وكذلك عن القضاء والقدر و عن سبب اختفاء الله، ومن ثم سنتكلم الإيمان والاعتقاد بالله وكيف أن الإيمان هو جوهر الدين ومايريده الله ونذكر باختصار شديد بعض فوائد الإيمان النفسية و المعنوية، وبما أن الإيمان هو المحور فمن الطبيعي قبول التعددية الدينية وسنتكلم عنها، وكيف لنا أن نفهم الله والنص الديني، يمكن عقلنة الدين وهل يمكن ذلك،

ومن بعد ذلك نتكلم عن الدين ونذكر بعض الإشكالات والتي هي كالإبادة الجماعية أو العذاب الأبدي في جهنم، واتمنى لك صديقي القارئ وقتا ممتعا في قراءتك.

ملاحظة:

صـديقي القارئ العزيز أنا لسـت كاتب متمرس وماهر إنمـا مبتدئ جدا وهذا الكتـاب أول كتـاب اكتبـه، أنـا لم أدرس في جامعة ما أو عند أســتاذ ما، لكن كانت لي دراسـة دينية بسـيطة هي التي جعلتني أحب القراءة في المواضــيع الفلســفية والدينية، وكل ما بحثته هو كان بــحــث شــــخصــــي واجــتــهــادي الــخــاص أنـا علي جبـار شــولي خلاني، مواليـد بغـداد ١٩٩٢ وأنا لسـت عبقري لدرجة أسـتطيع أن أكشـف أسـرار الوجود، لكن لست غبي لدرجة أن أبقى مع القطيع.

رسالة شكر

أود أن اقـدم شـــكري وتقـديري إلى عـائلتي وأصـــدقائي، أشـــكر أبي الغالي، وامي العزيزة ، وزوجتي الحبيبة والأطفال شكرا لهم فقد وفرو لي الـكـثـيـر مـن الـوقـت والـهـدوء لـهـذا الـعـمـل. كذلك شــكري وتقديري للأصــدقاء الأعزاء لتقديم النصيحة والدعم المعنوي.

إثبات وجود الله وصفاته

منذ فجر التاريخ والبشر يبحثون الكثير من المسائل لأثباتها، سواء بالملاحظة او بالتجربة، ولم يختصر بحثهم في المسائل المادية بل حتى الميتافيزيقية، ومسألة إثبات وجود الله سبحانه والايمان به تعد من أهم المسائل التي بحثو ها، وأرى ان هنالك ثلاث نقاط هي الأهم والتي بسببها حاول البشر إثبات وجود الله والايمان به.

النقطة الاولى

أن إثبات وجود الله يجيب على أسئلة كثيرة ومعقدة نوعا ما، مثلا من أوجب الوجود؟ من خلقنا وخلق هذا العالم وهذه الكواكب والمجرات والخ؟ فوجود الله يجيب عن كل هذه الأسئلة كونه هو الخالق.

النقطة الثانية

أن إثبات وجود الله والايمان به لا يختصر على الإجابة عن الأسئلة المذكورة، بل اعطاء المعنى لوجود هذا العالم عامة ،ووجود الانسان خاصة، فالإيمان بوجود الله وهو الخالق لهذا العالم يعطي المعنى له ، كون الله لم يخلقه عبثا، فعدم اثبات لوجود الله يعني اننا نعيش عبثا، لكن الايمان بوجود الله خالق لهذا العالم وله هدف من خلقه يخرجنا من دائرة العبث.

النقطة الثالثة

هو حاجة الانسان للإيمان بقوة غيبية، في العصور القديمة لم تكن عند البشر اي تفسيرات للظواهر الطبيعية ، كالزلازل والصواعق و الاعاصير وما الى غير ذلك من ظواهر طبيعية، فعنصر الخوف لعب دورا مهم لذلك احتاج الانسان الى الايمان بالقوة الغيبية الله سبحانه، حتى يتخلصوا من خوفهم ، ويحميهم ويرعاهم ويساعدهم والخ.

وطبعا البشر في العصور القديمة لم يحتاجوا لغير الخوف وعدم معرفتهم لأسباب الكوارث الطبيعية لأثبات وجود الله، ومع تطور الفكر البشري وظهور اول علامة استفهام، من قبل الفلاسفة القدماء اصبح المفكرين من الفلاسفة يبحثون مسألة الإله، واصبح لابد من إثبات وجوده بأدلة عقلية منطقية، يعتبر أرسطو واحدًا من أهم الشخصيات التي وضعت الأسس الأولى للفلسفة الغربية، فقد كان أول من أنشأ نظامًا شاملاً للفلسفة الغربية، ويشمل الأخلاق وعلم الجمال والمنطق والعلم والسياسة والميتافيزيقا، كما كتب في العديد من المواضيع، بما في ذلك علوم الفيزياء والميتافيزيقا، والشعر، والمسرح، والموسيقى، والمنطق والبلاغة والسياسة والدولة، والأخلاق، والبيولوجيا، وعلم الحيوان، ساعيًا من خلال كل ذلك إلى الإجابة عن مجموعة من الإشكالات المطروحة في عصره من قبيل: ما خير نوع من الحكم تصلح به الدولة؟ ما خير سلوك يسلكه الإنسان؟ ما طبيعة الإله؟

وللإجابة على هذه الإشكالات تحدث أرسطو عن نظام الحكم في كتاب 'السياسة' وعن السلوك في كتاب 'الأخلاق'، وعن الإله في كتاب 'ما بعد الطبيعة'. ولما بعد الطبيعة عند أرسطو

معنيـان: معنى خـاص يقتصـــر موضـــوعـه على الجواهر المفارقة، وهو ما يدعوه بالإلهيات خاصـة، ومعنى عام يبحث في خصـــائص الوجود بما هو موجود، وهو ما يســـميه بعلم الوجود.

وأول ما ينبغي أن نلفت النظر إليه في مذهب أرسطو، هي نظرته إلى الكون أو ما يعرف بـ"الهيراركية" أي التصاعدية، فالكون حسب هذا الفيلسوف مرتب من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان، ومن الإنسان إلى الأجرام السماوية إلى الآلهة، ومعنى هذا في فلسفة أرسطو، أن الكون منظم بطريقة تصاعدية دقيقة، وقد مكنته نظرته الهيراركية هذه من قاعدته الشهيرة: "إنّ الطبيعة لا تفعل شيئًا باطلاً"، ومعنى ذلك يشرح أرسطو: "نستطيع أن نقول إنّنا نجد أنفسنا باستمرار في العالمين معًا: عالم الطبيعة وعالم الفن – أمام ترتيب نجد فيه أنّ ما هو أدنى موجود لصالح ما هو أعلى، وما هو أعلى إنّما يكون كذلك لسبب ما فيه من مبدأ عقل ي[1]

ومن أهم بنود العلم الإلهي الذي تطرق له أرسطو كان البحث عن طبيعة الإله (أو المحرك) الذي يخرج ما هو بالقوة من القوة إلى الفعل، وذلك انطلاقًا من مجموعة من المفاهيم، التي حاول هذا الفيلسوف صياغتها لتحديد طبيعته: المحرك الأول الذي لا يتحرك، صورة الصور، الإله عقل محض، حياة الإله في تعقله، عاقل لذاته، معقول لذاته، عقل لذاته..

مما سبق يبدو أنّ الإله عند أرسطو ليس خالق الكون فقط بل حركته، فكل الأشياء تتحرك في زمن معين، فإذا تساءلنا من

[1] ارسطو والمرأة _إمام عبد الفتاح

يحركها؟ يكون جواب أرسطو: إنّ الذي يحرك الأشياء هو المحرك الأول، ولكن ما طبيعة هذا المحرك؟

يجيب أرسطو بأنّ الإله محرك لا يتحرك، فكل محرك سواء أكان شخصًا أو شيئًا أو فكرةً، يحرك شيئًا ويحركه شيء، فالمحراث يحرك التربة، واليد تحرك المحراث، والعقل يحرك اليد والرغبة في الطعام تحرك العقل، وغريزة حب الحياة تحرك الرغبة في تناول الطعام والشراب. ولكن الإله حسب أرسطو لا يمكن أن يكون نتيجة لأي عمل، بل هو مصدر كل عمل، إنّه محرك العالم الذي لا يتحرك، يقول في هذا الطرح: "ينبغي أن تنتهي سلسلة المتحركات إلى محرك أول لا يتحرك وهو أصل الحركة بجميع أشكالها في الكون"[٢] وطبيعة هذا المحرك أنّه:

- ينبغي أن يكون محركًا أزليًّا: لأنّه لو تحرك بغيره فمعنى هذا أنّه يوجد شيء آخر يحركه، فهو لا يمكن أن يكون محركًا بغيره بل محرك بذاته.

- ينبغي أن يكون غير منقسم وغير ذي كم: أي أنّه أبدي لا ينقسم لأنّه، إذا انقسم تعدد ولو تعدد لأصبح له أجزاء، وعندها لا نستطيع أن نعرف الحركة من أي جزء، وهو لا يكمم (من الكمية) لأنّه خالٍ من المادة.

- ينبغي أن يكون بالفعل دائمًا: أي أنّه فعل محض خالص.

[٢] أرسطو المعلم الأول _ماجد فخري، صفحة ٩٤

- ينبغي أن يكون عقلاً بالفعل وأن يكون موضوع عقله أسمى المعقولات: أي أنّه عبارة عن فكر وعقل، وما دام فكرًا وعقلاً فهو أقرب إلى الأشياء الإلهية.

وان وصف ارسطو للأله وصف أكثر منطقية ممن كان مشهور في عصره، لكن الأمر لم يقف عند ارسطو حول مسألة إثبات الله، وقد قدم المفكرين والفلاسفة على مر العصور ادلة اكثر منطقية، ونذكر اهم هذه الادلة،

• دليل السببية:

هي موضوع فلسفي وبشكل أخص في فرع فلسفة العلوم تعني بالعلاقة بين حدث يسمى السبب وحدث آخر يسمى الأثر، بحيث يكون الحدث الثاني نتيجة للأول. ويشير هذا المصطلح إلى مجموعة العلاقات السببية أو علاقات السبب والتأثير التي يمكن ملاحظتها خلال الخبرة اليومية والتي تستند إليها النظريات العلمية في تفسير الظواهر العلمية.

مثال : انكسار زجاج السيارة ما سبب الكسر ؟ ارتطام الحجر فيها، ما سبب ارتطام الحجر ؟ أحمد رماه، ما سبب رمي أحمد له ؟ لأنه أراد تجربة الزجاج، وهكذا من وابل الأسئلة إلى أن تصل لسبب.

أ – الاستقراء :

يكاد لا يخفى على أي عاقل ان مبدا السببية قائم على الاستقراء المنطقي للوقائع، وهذا المنطلق بحد ذاته يشكل معضلة فلسفيا وعلميا، ولن يوصلنا أبدا إلى حقيقة مطلقة إلا في حالات شاذة،

سنأخذ مثالين في هذا السياق :

١ – أحمد معزول في جزيرة بعيدا عن العالم كل الحيوانات في هذه الجزيرة سـوداء اللون، إذا احمد اسـتقرائيا و سـببيا سـيطلق بحقيقة، ان كل الحيوانات سـوداء اللون، لكن يتفاجأ أحمد انه عثر على طير أبيض، اذا هنا سـقطت حقيقته الذي افترض صـحتها اسـتقرائيا و سـقطت كل اسـتنتاجات هذه الحقيقة سببيا .

٢ – الشمس ستشرق غدا لأنها أشرقت البارحة !

فصـل الفيلسـوف هيوم في مسـألة السـببية والاسـتقراء و استنتج لابد من وجود رابط عقلي لا مادي بين العنصرين أ و ب، وهذا الرابط يصنعه العقل نفسه، لملأ هذا الفراغ وهذا ما يقودنا الى دوائر فارغة على نفسها[٣]

ب – المقارنة الزائفة :

بعد أن تنجح حجة السببية في إيصالنا إلى أن المسبب هو الله، وبنفس مبدأ السببية نسأل من مسبب الله ؟ سؤال منطقي إن اسـتمررنا على نفس المبدأ السـببية الذي وصـلنا فيه إلى الله، هنا يأتي الرد باستحالة التسلسل اللانهائي للأهلة، لأنه ببساطة وانطلاقا من اللغة العربية، التسلسل للانهائي للفاعلين ينقض حدوث الفعل، إذا عدا نحن ناقضـنا مبدا السـببية الذي وصـلنا

[٣] مبحث في الفاهمة البشرية، ديفيد هيوم، ترجمة موسى وهبة، صفحة، ٩١-٩٢

به إلى الله، اوصلنا هذا المنطق لمعضلة تنقض فعالية المبدأ الذي وصلنا فيه إلى الله، ثم لنأخذ خطوة إلى الأمام ونأخذ صورة أشمل لما يحدث، بمبدأ السببية وصلنا الى الله، واقتنعنا في استحالة التسلسل اللانهائي للأهلة، ألا يمكن أن يكون الله ذاته أثر للمسبب الأول الحقيقي و الذي هو بدوره ممكن يكون إلها، في هذه الحالة لم ننقض مبدأ السببية الذي اعتمدتها للوصول للإله وبنفس الوقت لم نقع في تسلسل لانهائي، مجرد مسبب واحد قبله، لنوسع الدائرة قليلا لماذا لا يكون الله هو الاله العاشر وقبله تسعة ألهة، و أولهم هو المسبب الأول !

• دليل النظام

إن دليل النظام هو من أوضح الأدلة وأيسرها فهماً بالنسبة للجميع، وهو يعتبر من أشهر الأدلة ، ويقوم دليل النظام على أساس مشاهدة الآثار والآيات الإلهية في العالم، وملاحظة الإنسجام والتناسب القائم بين مخلوقات هذا العالم، والإهتداء إلى وجود الله تعالى عن طريق مشاهدة هذا النظام الدقيق البديع السائد في عالم الكون، يرى الفيلسوف واستاذ الفلسفة الأمريكي (رالف مك أينرني) :" بأن الانتظام والاعجاز في بنية الوجود وثبات قوانين الطبيعة تجعل القول بوجود خالق بديهة منطقية وعلى من ينكر ذلك أن يقدم الدليل[٤]

[٤] رحلة عقل، د عمر شريف، صفحة ٥٩

ويمكن توضيحه من خلال الخطوات التالية:

أوّلاً: الصياغة المنطقية

الصياغة المنطقية لهذا الدليل هي

- هذا العالم منظَّم.
- وكل منظَّم يحتاج إلى منظِّم.
- إذن: هذا العالم يحتاج إلى منظِّم.

ثانياً: مفهوم النظام

مفهوم النظام من المفاهيم الواضحة في ذهن الإنسان، ومن خصائص النظام أنه يتحقق بين أمور مختلفة سواء كانت أجزاء لمركب، أو أفراداً من ماهية واحدة، أو ماهيات مختلفة، فهناك ترابط وتناسق بين الأجزاء، أو توازن وانسجام بين الأفراد يؤدي إلى هدف وغاية مخصوصة، هي وجود الشيء على ما هو عليه من النظام الهادف.

ثالثاً: كيفيّة الإستدلال بالنظام

يتألّف دليل النظام من مقدمتين: إحداهما حسـيّة وهي (هذا العالم منظَّم)، والأخرى عقلية وهي (كل منظَّم يحتاج إلى منظِّم)، وإذا تمّت المقدمتان يثبت المطلوب، وهو: (هذا العالم يحتاج إلى منظِّم).

١ـ إثبات المقدمة الأولى (هذا العالم منظَّم)

لا شك في أن هناك نظام سائد في الظواهر الطبيعية التي يعرفها الإنسان إمّا بالمشاهدة الحسيّة الظاهرية وإمّا بفضل الأدوات والطرق العلميّة التجريبية. ومن هنا فإن للعلوم الطبيعية دور واسع في هذا الدليل. وفيما يلي إشارات سريعة على بعض النماذج النظامية:

المنظومة الشمسية

إنّ من أهم ما يلفت النظر في المنظومة الشمسيّة هو المسافات الدقيقة التي تفصل الشمس عن الكواكب التابعة لها. والحركات المنتظمة لهذه الشمس والكواكب وما يتولد عن ذلك، أو يترتب عليه من الأحوال اللازمة كالفصول والليل والنهار وما شابه ذلك.

عالم النبات إنّ النظر إلى النباتات يهدينا إلى أنّ هذا النوع من الكائنات عالم عجيب تحكمه المعادلات الدقيقة ونجد من عجيب التركيب هذه الأمور والأسرار العجيبة في عالم

النباتات إلى ظهور علوم مختلفة مثل علوم تركيب النبات وشكله، وعملية التخليق الضوئي و.. إلخ. خلقة الإنسان لو قلنا بأنّ الإنسان من أعجب الكائنات وأكثرها إثارة للدهشة لم نكن في ذلك مبالغين، وذلك لأننا نجد في هذا الكائن كل ما تفرق في المخلوقات مضافاً إلى أجهزة معقّدة أخرى. ومن الأجهزة المعقّدة التي تثير الدهشة لكثرة ما فيها من عجائب وأسرار وأنظمة وقوانين: عالم الخلايا، جهاز الهضم، جهاز الدورة الدموية، جهاز التنفس، جهاز المخّ، ولعلّ أكثر أقسام الجسم البشري تعقيداً ونظاماً هو "المخ" بإعتباره مركز القيادة والأعصاب التي هي وسيلة اتصال المخ بالجسم وبالعكس. وعليه، فإن المقدمة الأولى في دليل النظام ثابتة بالمشاهدة الحسيّة الظاهرية،أو من خلال الأدوات والطرق العلميّة التجريبية. ولهذا ذكرنا في خصائص هذا النوع من الأدلة أنها تستند إلى مقدمات حسيّة تجريبية.

٢- إثبات المقدمة الثانية (كل منظَّم يحتاج إلى منظِّم)

إنّ العقل بعدما لاحظ النظام وما يقوم عليه من دقة وروعة في التقدير والتوازن والانسجام، يحكم بالبداهة بأن أمراً هكذا شأنه يمتنع صدوره إلا عن فاعل قادر عليم ذي إرادة وقصد، ويستحيل أن يتحقق ذلك صدفة، وتبعاً لحركات فوضوية للمادة العمياء الصمّاء، فإنّ تصوّر مفهوم النظام، وأنه ملازم للحساب الدقيق والعلم، يكفي في التصديق بأن النظام لا ينفك عن وجود منظِّم عالِم أوجده، وحُكم العقل بذلك من البديهيات.

وعليه، فإن وجود النظام في الكون والحياة لا بد أن يكشف عن وجود المنظّم، وذلك بمقتضى حساب الاحتمالات الذي يرفض اعتبار الصدفة سببا لوجود النظام في الكون، فالشخص الأمي إذا أراد أن يكتب مقالة بسيطة أو شعرا بمجرد الضغط عشوائيا على مفاتيح الآلة الكاتبة بصورة عفوية وتصادفية، فإن ذلك بحساب الإحتمالات يستغرق بلايين السنين بحيث لا يكفي حتى عمر الكرة الأرضية لإنجاز ذلك، هذا إذا تصورنا ما تحتاجه مجرد مقالة بسيطة لتظهر صدفة فكيف بهذا الكون الرحب والواسع والمعقد في تكوينه تعقيداً بالغاً؟!

٣- النتيجة

بما أن العالم منظَّم بحسب المشاهدات الحسية والوقائع التجريبية، وبما أن كل منظَّم يحتاج إلى منظِّم بالبداهة العقلية، إذن فالعالم يحتاج إلى الخالق المنظم، وبذلك يثبت المطلوب.

هذا الدليل حتى اذا صح، فهو اعم من المدعى وبالتالي فان المدعى لاثبت منه، فالدليل ينتج عنه في حال صحته وجود منظم او وجود مصمم ولكن بما ان مفهوم المنظم اوسع من مفهوم الله فان الدليل اوسع من المدعى، لكي نفهم هذا بصورة صحيحة يجب ان نلاحظ ان مفهوم المصمم من حيث هو مصمم اي من يضع الاشياء بنحو معين من الترتيب المقصود لايتضمن ان يكون خالق الشيء ولايتضمن ان يكون عالما بكل شيء ولايتضمن ان يكون قادرا على كل شيء ولا رحمان رحيم او رازق كريم او مرسل للانبياء، وكل هذه ضرورية لوجود الله وليست كلها محتوات في مفهوم المنظم، فالدليل اعم من المدعى كما قلنا.

والإشـكالات التي توجهت لهذا الدليل من عدة وجوه سـأذكر بعضها.

1 -ان العلم الحديث قدم لنا احتمالا اخر لتفسير النظام في العالم وتعدد الاحتمال يبطل الاستدلال، اضف الى هذا ان ما قدمه العلم ليس مجرد احتمال وانما نظريات مؤيدة بالأدلة التجريبية وهي على هذا اقرب للصدق من مجرد تكهنات فلسفية قائمة على التأمل والمماثلة ،فالنظام في المجموعة الشمسية يفسر عبر الجاذبية التي تحفظ الكواكب في مداراتها والجاذبية قوة طبيعة، فالسبيل الوحيد لكي يصدق الدليل هو ان يكون علم الفلك وكل ما توصل اليه الفلكيون من نظريات في عداد المستحيل والا لو كان كلامهم محتمل لأبطل الاستدلال، بنائا على القاعدة المشهورة: تعدد الاحتمال يبطل الاستدلال.

٢- ان المشاهد من النظام انما هو بعض من العالم ولم يشاهد اي أحد العالم بكله فكيف يكون ان العالم مشاهد؟ وانه منظم؟ ولو فرضنا ان هناك من زار كل زاوية في العالم وكل بقعة من بقاعه ووجد انها منظمة فان هذا لا يثبت منه ان العالم منظم لان صفات الكل ليست بالضرورة صفات الجزء وانما حتى يستقيم البرهان لابد ان نثبت ان العالم منظم ليس فقط بعضه منظم فكيف أمكن استنتاج الكل من الجزء؟

٣- من يستطيع ان يميز التصميم الجيد فانه بالضرورة قادر تمييز التصميم الرديء وهذه لايمكن الفرار منها لان ما لايكون تصميم جيد فهو غير جيد. فالان انت انظر كل التصميمات الرديئة في العالم وانظر الى كل الخراب الذي يجري باستمرار في الكون. فبحسب قانون الثرموداينمكس

(الانتقال الحراري) الثاني فان كل شيء في العالم يسير من حسن الى سيء الى اسوأ، الكون كله في حالة انهيار وتداعي على بعضه البعض، فالقمر يبتعد عن الارض وحركة الارض تبطأ باستمرار والشمس سينفذ وقودها ودرجة الحرارة على الارض تتزايد.

حاول كانط أن يبرهن ان العقل لا يحرز اي تقدم باتخاذه هذا الدليل او ذاك من هذه الادلة الثلاثة،والتي لا توجد غير ها عند العقل النظري، الممكنة لاثبات وجود الله : وهي الدليل الأنطولوجي القائم على فكرة الأكمل، والدليل الكوني (الكسمولوجي) القائم على الإمكان، والدليل الفيزيائي اللاهوتي المستند على الشواهد من نظام الكون،[٥]

بعد أن عرضنا الادلة التي يستدل بها على وجود الله، وكيف تم رد على هذه الادلة العقلية، لكن هل اذا تم تفنيد هذه الادلة يعني ان الله غير موجود أو لايمكن اثباته، بالحقيقة انه بما ان العقل يدور في إطار الزمان والمكان، وإنه لا يمكن له أن يدرك بما هو خارج نطاق الزمكانية، وأن الله سبحانه خارج إطار الزمان والمكان فلا يمكن للعقل ادراكة، وان كل الادلة التي ذكرناها والأدلة التي تكون بالضد منها كما يقول كانط أن الأدلة متكأفئة، يعني لو قدمت عشر ادلة عن وجود الله تجد كذلك عشر بالضد، وبما ان مسألة الله غير عقلية فيمكن إثباته بادلة كما أثبت ذلك كانط بالدليل الأخلاقي :

أن وجود الأخلاق فينا أثر من كمال الله الذي صاغ قلب الإنسان صياغة أخلاقية،[٦] مثل حبنا للخير وبغضنا للكذب،

[٥] إيمانويل كانت، بدوي عبد الرحمن، صفحة ٣٢٨
[٦] براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، جزء ١، صفحة ٢٢٢

واختيار الإنسان للأخلاق الفاضلة لا يمكن إلا أن يكون بسبب القوة الغيبية التي أوجدته، وأننا نجد ان كل البشر مع اختلاف لغاتهم واعراقهم واديانهم، يتفقون على الأخلاق وقيمها، مثلا لا تجد انسان سوي لا يحب او يحث على مساعدة المحتاج، فكل البشر متفقين على القيم الاخلاقية وهذا يدل على أن الأخلاق مصدرها من غير الطبيعة الصماء، وانها من قوى عليا قد جعلتها في الناس ككل، وهذه القوى العليا هي الله فهو يكون مصدر للأخلاق.

كذلك دليل الفطرة

يقصد بالدليل الفطري أن كل إنسان يولد على صفة يلزم منها إقراره بأن له خالقاً مدبرا، يؤكد الفيلسوف الأمريكي،(ألفين بلانتنجا)،" إن الايمان شعور فطري وان الاعتقاد بوجود الإله مثل الاعتقاد في مفاهيم اساسية اخرى، كالاعتقاد بأن للأخرين عقولا كعقولنا، والاعتقاد في صحة حواسنا، والقول بأن الكل اكبر من الجزء"[٧] لذلك نجد الإنسان عبر التاريخ يميل إلى التدين والتعبد إلى الإله، سواء كان حقا أو باطلا، وان فكرة التدين ترتكز على أساس وهو الايمان بالإله، وان ميول الناس إلى الايمان بالله يدل على أن هذا الأمر فطري، والتي تعني حاجتهم إلى القوى الغيبية، ويقصد بالشعور الفطري للإيمان، أو الفطرة التي من خلالها يشعر الإنسان بأن هنالك خالق، لذلك ووفقا للفطرة لو فرضنا ان هنالك انسان عاش في جزيرة وحده، وبسبب هذه الفطرة يؤمن بأنه هنالك من خلقه و اوجده، وان هذه الأدلّة كدليل الأخلاق والفطرة هيه افضل الأدلة ليس لكونها متناسبة

[٧] رحلة عقل، د عمر شريف، صفحة ٥٩

مع المدعى، بل لكونها من داخل وذات الإنسان لا من خارجه، وأن الله سبحانه هو في وجدان الإنسان لذلك فأن المؤمن لا يحتاج لدليل على وجود الله، لأن علمه بوجود الله حضوري فهو حاضر بوجدان الإنسان، ولو فرضنا أنه لا يمكن إثبات واجب الوجود، فعدم اثبات الشيء لا يعني بالضرورة نفيه، مثلا نحن الأن لا نملك دليل واحد على أنه هنالك مخلوقات غيرنا تشاركنا العيش في هذا الكون العظيم، لكن في الوقت نفسه لا يمكن أن نجزم بأنه لا يوجد كائنات تعيش غيرنا في الكون، فإن موقف "الاادريه" أكثر منطقية ممن هم منكرين لوجود الله، لكن حتى الملحدين لا يمكن أن يجزموا على عدم وجود الله، وأن الكثير من الملحدين لم ينكروا وجود الله بسبب عدم اثباته أو بسبب ضعف الأدلة، هنالك الكثير منهم ممن نكر وجود الله كان بسبب مثلا الشر أو الصفات الإلهية،

فمعضلة الشر مثلا بسببها الكثير انكر وجود الله، تعود الصياغة المنطقيّة الأولى لهذه المسألة، بحسب ما نقل الفيلسوف الإنكليزي (ديفيد هيوم)، إلى الفيلسوف اليوناني (أبيقور) ، فيما عُرف بمعضلة أبيقور وملخَّصُها الآتي:

١- الإله كلي القدرة اي انه قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء .
٢- الإله كلي العلم يعلم كل شيء قبل ان يكون هنالك شيء ولا يخفى عليه شيء.
٣- الإله كلي الخير كله خير ورحمة وهذه صفاته مطلقه.

إذا كان الإله كُلِّيَّ القدرة والعلم والخير فإنَّ الشـر لا يمكن أن يوجد في خلقه، إذ إنَّ هذه الصـفات الثلاث لا تجتمع في إله حكيم متصـرف ثم يغفل عن وجود الشـر في العالم، وبما أن الشـر موجود فذلك يعني أن الإله ليس كلي العلم، إذ لا يعرف ما يجري في خلقه من الشـرور، أو أنه يعلم حصـول ذلك إلا أن قدرته ناقصة فلا يستطيع رفع الشرور والآلام عن عباده، أو أنه يعلم الشـر ويسـتطيع رفعه، إلا أن يريد له الاسـتمرار فتكون خيريته ناقصـة، وعلى أيٍّ من هذه النواقص فإنه لا يمكن أن يكون إلهًا، لتحكُّم النقص فيه، وهذا لا يصـح منطقيا يعني ان ينكر وجود الله كون هنالك في العالم شر، أو أن الإله شرير فوجود الشر لا يعني عدم وجود الإله، أن مشكلة الشر تتعلّق بصـفات الإله لا بوجوده، فالمشـكل هنا هو التوفيق بين صـفات الإله لا وجوده نفسـه، الإنسـان رقيق القلب بطبيعة الحال يصـعب عليه تقبّل وجود الشـرّ إجمالًا في هذا العالم، سواء صـرخة عجوز أو إيلام حيوان أو غير ذلك، مما يدفعه إلى وضع حاجز بينه وبين الإله، لكن ليس لإنكاره، وعادة ما يؤدّي هذا الإلحاد العملي إلى إلحاد فكري بطبيعة الحال، لكن الانتقال هنا ليس انتقالًا منطقيًا إنما هو انقالي نفسـي، وهي النقطة المركزية في هذا الموضوع، فوجود الشرّ في العالم لا ينقل منطقيًا إلا إلى أن الإله ليس رحيمًا، واذا فرضنا ان الإله قادر على ان يرفع الشـر لأكنه لا يفعل ذلك، ويسـمح لكل انواع الشـرور أن توجد ولا يهتم إلى من يتألم بسـبب هذه الشرور، وقلنا انها حجة صحيحة فما نستفاد منها هو أن الإله ليس رحيم او شرير، اما القول بعدم وجود الإله فهذا لا يصح ابدأ، لكن اعتبروا الملحدين أن حجة الشـر هيه من اقوى الحجج قديما وحديثا، لو تأملنا قليلا في مسـألة الشـر فنجده ليس هو الأصـل، وان الأصـل في كل شـيء هو الخير، فمثلا السـيول التي يسـببها المطر التي تجرف البيوت والمحاصـيل

الزراعية وغير ذلك قد يراها البعض شرا، لكن في اصل أن المطر هو خيرا إذ يحتاج الى مياه كل كائن حي يرتوي الزرع وتشرب منه الكائنات، وان الصحة هي الأصل والمرض استثنائيا، والسلام هو الأصل والحرب استثناء وهكذا، واذا وجد الشر فإنه نسبي بمعنى لو تعرضت للدغة عقرب فهذا شر بالنسبة لك، لأنه قد ينهي حياتك لكن لو نظرنا إلى الأمر من زاوية اخرى نجده خير وضروري بالنسبة للعقرب، كونه يحمي بسمه نفسه ويحافظ على حياته، وان "الكون في حقيقته بلا شر ولا خيركما عبر عنه (ريتشارد داوكينز) وهو من أشهر الملحدين في العالم"، وان وجود بعض الشر يعطي قيمة لعمل الخير وكذلك للإرادة الحرة، يؤكد الفيلسوف(ألفن بلانتنجا) إلى أنه حتى ولو لم يكن هناك غاية من وجود الشرّ إلا وجود الإرادة الحرة الإنسانية فالشر هنا ضريبة لازمة ومنطقية ومرضية لنعمة الارادة الحرة، وبذلك ينتقض الاعتراض على عدل الله أنه يسمح للشر بالوجود، إنه لا معنى عقلا وواقعا أن نتحدّث عن كائن حرّ يملك إرادة الاختيار ضمن الطبيعة البشرية المحضة ثم هو لا يفعل إلا الخير [٨]،لهذه الشرور غاية معينة، يقول (إيونج) أحد أساتذة الأخلاق في جامعة كامبردج "إنها لحقيقة واقعة أن ثمة خيرات لا تأتي بغير محصول الشرّ، فكيف تتسنّى الفضيلة مثلًا بغير عوائق المغريات ومن ثم بغير الشرّ ولو في صورة الألم والعرقلة؟ وكيف توجد شجاعة بغير ألم أو مشقة أو خطر؟ وكيف يوجد الحبّ في أرفع حالاته التي نعرفها ما لم يكن هنالك داعية للعطف والإشفاق والتضحية، لا بدّ من شر نغلبه كي نحصل على فضيلة الغلبة عليه، وربما كان هناك أنواع أخرى من الحبّ والفضيلة كالتي نتخيّل أن

[٨] مشكلة الشر ووجد الله، د سامي العامري صفحة ١٢٠

الكائنات التي تعلو على طوق الإنسان متّصفة بها ولا تنطوي على شرّ من الشرور، ولكنها إذا صح تخيلنا نوع آخر غير حبّنا وفضيلنا، وكلما تعدّدت الفضائل كان ذلك أفضل وأجمل"[٩] وغير ذلك فأن نبذ البشر إلى الشر يدل على انهم فطروا على حب الخير ، وان الخير هو الأصل واذا احدا شاهد فعل شر نبذه، ولو لم يكن الشر استثنائيا وليس اصيلا عند الانسان فلا معنى من نبذه، وان صفت القادر على كل شيء والتي تدخل في حجية الشر، كذلك كانت هذه الصفة محل لأثارت التساؤلات، القدرة المطلقة عند الله أثارت جدل فلسفي ومنطقي ومن أشهرها ما يعرف بمغالطة كلي القدرة، أو مغالطة الصخرة ومن اوال من ذكرها الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد وكذلك الفيلسوف اللاهوتي الكاثوليكي توما الاكويني، و المغالطة هي كالآتي : إذا كان الله كلي القدرة فهل يستطيع أن يخلق صخرة يعجز عن حملها، فإذا قلنا نعم يستطيع أن يخلقها فسيكون عاجز على حملها وهذا عجز في القدرة ولا يكون كلي القدرة وقدرته مطلقه، واذا قلنا لا يستطيع أن يخلقها كذلك يكون عجز في القدرة، واي جواب سوف نختاره يكون فيه عجز في القدرة سواء كان بعدم استطاعة الخلق أو عدم استطاعته الحمل، والكثير من الامثلة على هذا النحو مثل هل يستطيع الله وهو كلي القدرة أن يخلق إله مثله، أو أن يجمع النقيضين وهكذا، وان افضل جواب على هذه المسألة هو القول بأن قدرة الله مطلقة لكن في الممكن وليس في المستحيل، وكما ينقل عن الامام علي بن أبي طالب انه سائله رجل هل يستطيع الله ان يجعل الكون بكبره داخل بيضه بصغرها، فأجابه الإمام علي بأن الله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء لكن قدرته في الممكن، بمعنى

[٩] المصدر السابق، صفحة ١٢٤_١٢٥

اذا قلنا ان قدرة الله مطلقة فسيكون من المستحيل أن تكون هنالك صخرة لا يمكن له تحريكها، فهذه الصخرة تكون ضمن المستحيل لا ضمن الممكن وان الله كلي القدرة بالممكن.

وكذلك من المسائل التي تدخل في حجية الشر هو أن الله كلي العلم، أن علم الله المطلق الأزلي الأبدي ، و ذلك بأن الله علم ما الذي سيختاره المرء لذلك و شاءه فجاءت مشيئة العبد موافقة لتلك المشيئة الأزلية ، و يذكرون في هذا السياق،{وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [١٠](وآيات أخرى تتحدث عن صفة العلم .

وبهذا يكون الإنسان الكافر انما كفر لتحقيق مشيئة الله حيث أن الله شاء له بذلك، وطبعا هذا القول يقودنا الى الجبرية وان الانسان مجبور وما يختاره من إيمان او كفر انما هيه إرادة الله، واذا كان الانسان مجبور فيبطل الثواب والعقاب، وطبعا هذا إذا كان الله مقدر للإنسان عمله فهذا يتناقض مع العدل الإلهي، وان القول بأن الله يعلم بفعل الانسان علما ازليا، أو أنه اشاء للناس وهم يحققون تلك المشيئة، هذا القول ليس متفق عليها بين فرق و متكلمين المسلمين، منهم من قال كالأشاعرة بأن الله يعلم بفعل الانسان علما ازليا وان الله شاء لا يفعل الانسان الا وفق المشيئة الإلهية، واما القدرية قالو بأن الانسان هو من يقدر ما يفعله، والشيعة عند بعضهم ممن قال بالبداء بأن الله قد يبدا له ،[١١] اذا ان أمر القدر والمشيئة محل اختلاف ولم يتفق عليه، والقول بالجبرية الذي يستند إلى بعض الآيات هو فهم للنص، كما أن هنالك بعض الآيات التي تدعم الإرادة الحرة للإنسان،

---

[١٠] الانسان ٣٠

[١١] أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب البداء، صفحة ١٤٨

{ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** }[١٢] وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}[١٣]، وفقا لهذه الآيات فيكون الإنسان حرا في اختياره واما المشيئة الإلهية هي علم الله بما يختاره الإنسان، لكن هذا العلم لا يسلب الإرادة الحرة للإنسان، والقول بأن الله قدر وشاء للإنسان فعله فهذا لا يصح، فمثلا العبادة بلا حرية واختيار الإنسان تكون بلا قيمه، كذلك كل الأعمال الأخلاقية عندما تكون بالجبر فلا قيمها لها انما تكون لها قيمه مع الحرية وتعدد الاختيارات.

وغير مسألة الأدلة العقلية على إثبات وجود الله وأنها لا تخلو من الإشكالات، وكذلك غير مشكلة الشر التي يتمسك بها الملحدين، ومشكلة القضاء والقدر والمشيئة الإلهية، هنالك ثمة سؤال يطرح وهو لماذا أخفى الله نفسه عن الناس وطبعا هذا السؤال لم يطرح سابقا اي قبل عصر الحداثة، واعتبر الكثير من الملحدين هذا السؤال دليلا على عدم وجود الله، صيغة السؤال تكون هكذا :

١- اذا كان الله يملك قدرة مطلقة،
٢- واذا كان يحب عباده ويعلم بحاجاتهم، ومن اهم حاجاتهم الايمان به وتقوية العلاقة معه،
٣- اذا يجب ان يظهر لهم ليقطع كل شك بوجوده لان خفاءه عنهم غير مبرر لأنه يدل اما على انه غير قادر على الظهور او انه لا يريد الخير لعباده او انه لا يعلم بحاجاتهم او انه غير موجود؟

[١٢] الإنسان ٣
[١٣] الكهف ٢٩

الفلاسفة اللاهوتيين بحثوا في هذه المسألة وقدموا إجابات عنها، وعلماء الكلام وفلاسفة المسلمين قد بحثو عن رؤية الله، لكن بحثهم لم يكن عن الحكمة من عدم ظهور الله واختفائه، بل كان عن السبب من عدم رؤية الله وطبعا هنالك فرق بين الحكمة والسبب، والسؤال كان يقصد الحكمة وليس السبب لعدم رؤية الله، فقال الأشاعرة وأكثر السنة على إمكانية رؤية الله، اما الشيعة والمعتزلة والفلاسفة المسلمين قالو بعدم رؤية الله كون الله لا متناهي واللامتناهي لا يمكن رؤيته. اما العرفاء فكان جوابهم حول المسألة هو أن الله في وجدان الإنسان، وهذا يعني انه لم يختفي بل دائم الظهور في قلب المرء، واما من لم يشعر به فهذا لا يعني باختفاء الله انما بعدم تواصل هذا الذي لم يشعر به بطريق الله والكمال المطلق، وان اختفاء الله من قلبك الإنسان يعني اختفاء انسانية الإنسان، الحب للأخرين وحب الخير والإنسانية في قلب ووجدانك هي ظهور الله في نفسك هو نور الله في قلبك، وهذا السؤال او الاشكال انما يرد على التصور السائد لدى المؤمنين و عامة الناس عن الله وانه خالق العالم والكائنات وهو العلة لها كما الشمس علة للنهار اي هو شيء مفارق عن خلقه فبعضهم يرى امكان ان يظهر لهم وبعضهم يرى استحالة ذلك، اما بناء على وحدة الوجود فيزول هذا الاشكال من اساسه، وحدة الوجود تجيب عن هكذا سؤال. الأمر الاخر حول الإجابة عن هذا السؤال هو أن الله خلق الإنسان وجعله حرا، وان ظهور الله للناس يجعل إيمانهم به جبرا، سيكون الناس مجبورين على ان يؤمنون، والله لا يريد ايمان مبني على الجبر والكراهة كونه لا قيمه بهكذا ايمان، لكنه مع ذلك هنالك نوع من الظهور هو الظهور القلبي للإنسان، واما عدم ظهوره ظهور حسي فهذا لا يعد عجز في

القدرة، لأن و كما ذكرنا ان قدرة الله بالممكن لا بالمستحيل، لأن الإنسان مستحيل ان يرى ما هو لا متناهي.

العقل والاعتقاد والإيمان بالله

صديقي القارئ قد تقول انا اعتقد بوجود الله، وكذلك تقول انا اؤمن بوجود الله، وقد لا تميز بين الاعتقاد والإيمان، والحقيقة هنالك فرق جوهري بين الإيمان و الاعتقاد، فالاعتقاد أمر عقلي واما الايمان فهو وجداني، الاعتقاد يستلزم الأدلة اما الإيمان لا يستلزم وجود الأدلة، كذلك الاعتقاد علم حصولي اما الإيمان علم حضوري، وطبعا هنالك فرق بين العلم الحصولي والحضوري فالحصولي عندما تقول الضوء اسرع من الصوت فهذا علم حصولي ويجب تقديم الأدلة على ما تدعي، أما العلم الحضوري هو عندما تقول مثلا اني اشعر بالجوع أو العطش فهذا علم حضوري وأنت صادق فيما تدعي ولا يجب عليك تقديم أدلة، الاعتقاد كالنظريات أو الفرضيات العلمية يجب ان يقام عليها الدليل، اما الايمان فهو كالعشق والأخلاق والشعور فلا يجب إقامة الأدلة، الإيمان لا يقبل الشك عكس الاعتقاد قد يدخل به الشك، مثال على ذلك لو كنت تعتقد بأن جثمان الميت لا تؤذيك اي نوع من الاذى ابدأ، وطلبنا منك أن تنام ليلة كاملة وفي غرفة واحدة جنب جثمان الميت، فعلى الاغلب انك تخاف أن تفعل ذلك مع كونك تعتقد بأن الجثمان لا يخيف ولا يؤذي، والسبب في ذلك هو انك تعتقد فقط إلا انك لا تؤمن بأن جثمان الميت لا يؤذي، فلو أن هذا الاعتقاد تحول إلى إيمان فما كنت لتخاف ابدا، قد يداهم الشك ذهن الإنسان لكن ليس مهم إذا كان هنالك إيمان في الوجدان، وقد تجد من ينكر وجود الله مثلا كونه لم يتوصل لإثباته عقلا ولكن ثمة هنالك

إيمان في وجدانه على وجود الله، وان(أنتوني فلو) استاذ الفلسفة البريطاني الشهير، خير مثال على ذلك فعبد خمسون عام من التنظير لفكرة الإلحاد وأكثر من ثلاثين مؤلف يدحض بها فكرة الإله[١٤]، وفي اخر ثلاث سنوات من عمره قام بتأليف كتابه (هنالك إله) فند به كل آراءه السابقة في كتبه القديمة، الشك أمر طبيعي خصوصا في مسائل متعلقة في عقيدة ما، كون العقائد تكون خارج الزمان والمكان وان العقل يدور في إطار الزمان والمكان، الاعتقاد بوجود الإله لا يمكن ادراكه عقلا كون فكرة الله خارج الزمكانية، وإنما يكفي ان تكون العقيدة مقبولة عقلا، فمثلا أن بعض الخرافات القديمة والتي تقول بأن الأرض موضوعة على ظهر حيوان، ثور _ او حوت، ونريد ان نبحث الآن ما هو الحيوان التي وضعت عليه الأرض هل هو ثور او حوت، البحث في مثل هكذا عقيدة يعد هراء كون العقيدة في الأصل غير مقبولة عقلا، اما العقيدة بجود الله بما ننظر إلى النظم الموجود وانه لابد لمنظم له ولابد هنالك من مسبب لهذا الكون، فتكون العقيدة بوجود الله مقبولة عقلا.

لكن لو سئلنا هل الايمان بوجود الله يترك اثر في نفس الإنسان؟ وما هيه الفائدة من الايمان بوجود الله؟ وكذلك عدم الايمان بوجود الله ما هو الأثر الذي يتركه في نفس الإنسان؟

الإلحاد ليس دين او معتقد ما انما هو عدم الإقرار والاعتقاد بوجود خالق للكون، ولا يمكن أن تستنتج من ملحد أن قال لك انا ملحد، فقط انه لا يعتقد بالله اما اذا كان استنتاجك منه كونه ملحدا انه ليس صاحب أخلاق او أنه ليس ذكي مثلا، فهذا الاستنتاج غير مبرر لأن الإلحاد هو فقط عدم الاعتقاد بإله قد

[١٤] رحلة عقل، د عمر شريف، صفحة ٣٥-٣٦

يكون هذا الملحد له أخلاق أفضـــل من المؤمن و أذكى منه، لكن الملحد لا يتمتع بفوائد ومزايا والتي يتمتع بها المؤمن فقط لأن المادية كتفســير للحياة يســلبها المعنوية ويؤكد (بيرتراند راسل) هذه النظرة المادية فيقول " ليس وراء نشأة الإنســان غاية او تدبير، إن نشــأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده، ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة، ولا تستطيع حماسته أو بطولته أو فكره أو شعوره أن تحول بينه وبين الموت، وجميع ما قام به الإنسان عبر الأجيال من أعمال فذة وما اتصف به من ذكاء وإخلاص مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعة الشمسية، ولابد أن يدفن جميع ما حققه الإنسان من نصر وما بنأه من صروح المدينة تحت أنقاض هذا الكون، إن جميع هذه الأمور حقائق لا تقوى فلسفة من الفلسفات على إنكارها[١٥]

المعنوية، اذا قلنا بأن هذا العالم مادي فقط وانه لا يوجد شيء يســمى عالم غيبي، وإنه لا وجود لفكرة الخالق وأن الكون وجد بســبب آخر، فبهذا القول والذي يراه الملحدين ويعتبروا تفسيرا حقيقا للعالم، فسوف نخسر المعنى من الحياة وتحل محل المعنوية العبثية، لكن مع القول والإيمان بالخالق للكون وانه له ســبب ما من خلقنا، وان الخالق عالم وحكيم فحينئذ تكون لحياتنا معنى، ونتخلص من العبثية واللا معنى ومن الطبيعي إذا فقدت الحياة معناها كذلك فقدت قيمتها فالمعنى يعطي للحياة قيمة، واذا يعتبر الملحدين أن ما يؤمن به المؤمنين مجرد أســطورة، لكن بما أن هذا الإيمان به فوائد للإنسان كالمعنوية والفوائد النفسية فستكون هذه الأسطورة أسطورة مفيدة.

[١٥] الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة،د الدمرداش عبد المجيد سرحان، صفحة ٥٧_٥٨

الحالة النفسية، الإيمان يبث روح الأمل والتفاؤل عند الإنسان ويعطي نوع من السكينة والصفاء الروحي، فعندما تؤمن بأن هنالك خالق ولأنه يحبك اوجدك من العدم فهذا يكون دافع معنوي في حياتك، لكن لو اعتقادك بما يعتقد به المنكرين لوجود الخالق ويعتبرون الإنسان مجرد نفايات كيميائية فلا تجد لنفسك قيمة فضلا عن حياتك، وان الإنسان في طبيعته يشعر أحيانا في اضطرابات نفسية كثيرة وان الإيمان يلعب دورا مهما في علاج هذه الأمراض، وقد أكد على ذلك كثير من العلماء في أمراض الإنسان العضوية، من ذلك ما قاله الدكتور (بول إرنست ادولف) " فما هي الأسباب الرئيسية لما نسميه الأمراض العصبية؟ إن من الأسباب الرئيسية لهذه الأمراض الشعور بالإثم أو الخطيئة والحقد والخوف والقلق والكبت والتردد والشك والغيرة والأثرة والسأم، مما يؤسف له أن كثيرا ممن يشتغلون بالعلاج النفسي قد ينجحون في تقصي أسباب الاضطراب النفسي الذي يسببه المرض لكنهم يفشلون في معالجة هذه الاضطرابات لأنهم لا يلجأون في علاجها إلى بث الإيمان بالله في نفوس هؤلاء المرضى، ونحب فوق ذلك أن نسأل عن هذه الاضطرابات الانفعالية والعوامل التي تسبب تلك الأمراض، انها هي ذاتها الاضطرابات التي جاءت الأديان لكي تعمل على تحريرنا منها، فقد علم الله بقدرته وحكمته حاجاتنا النفسية ودبر لها العلاج الكامن، ولقد وصف الأخصائيون النفسيون القفل الذي يغلق باب الصحة وامدنا الله بالمفتاح الذي يفتح هذا الباب، فلماذا يخبرنا الله عن هذه المفاتيح، إن ذلك يتلخص في اننا نرتكب الإثم والذنوب ونحتاج إلى عفو الله ومغفرته، حتى نعود إلى رحابة ونعفو عن غيرنا، إن المذنبين الذين ينالهم هذا الصفح تتجلى في نفوسهم روح الله فيذهب عنهم الخوف والقلق ولا يكون هنالك

سبيل إلى إصابتهم بالكبت والغيرة والأثرة، فعندما تحل محبته في القلوب تفارقها الشرور والآثام، ولا ينتابها السأم وتفيض بالآمال الحية التي تنبعث منها الحياة"[١٦] العقل له قدرة على الشفاء وان الإيمان يحفز العقل على عملية الشفاء، كما يؤكد ذلك (الدكتور جوزيف ميرفي) في كتابه " قوة عقلك الباطن"، وكيف المعتقدات والإيمان لها دورا مهما للتشافي [١٧]، لذلك نجد حاجة نفسية مهمه تتجسد في الإيمان وبهذا نخرج بحصلية هي ان الإيمان يمثل حاجات بشرية مهمه سواء كانت معنوية أو نفسية، وهذه الحاجات المذكورة لا يمكن ايجادها بغير الإيمان وان من يفقد الإيمان لا يستطيع الحصول عليها، لقد اوضحت في البداية الفرق بين الإيمان و الاعتقاد وميزنا بينهم، وان الأنبياء والحكماء الذين يدعون إلى طريق الله والإيمان به بكل اديانهم ومعتقداتهم فهم يدعون إلى الإيمان وليس إلى الاعتقاد، كما وضح ذلك (السيد أحمد القبانجي)" فعلى سبيل المثال تجد القرآن الكريم في كل آياته يتكلم عن الذين آمنوا ولا تجد آية واحدة تقول يايها الذين اعتقدوا، لأن الله لا يريد منك الاعتقاد فقط بل يريد الإيمان وانه اي الإيمان يعد جوهر الدين وما عداه قشور للدين،الايمان القلبي هو الحب لله و التوكل عليه والارتباط به وكذلك الإيمان بالله يختلف عن الدين فالدين مجموعة معتقدات التوحيد و النبوة و المعاد و الإمامة ، وإضافة الى الفقه من صلاة وصوم و حج و اخلاق فهذه كلها هي الدين لكن الإيمان هو جوهر الدين ، فالدين الشجرة و جذورها الإيمان فالإيمان غير مرئي فهو قلبي ، من الانحرافات هو تحويل الإيمان إلى عقيدة ، الإيمان هو حركة وطلب المطلق فعندما يكون الإيمان

---

[١٦] الخطايا في نظر الإسلام، صفحة ٢٢_٢٣

[١٧] قوة عقلك الباطن، جوزيف ميرفي، صفحة، ٥٦و٧٧_٧٨

في قلبك يتحرك عقلك الى الاعتقاد بالله ، اما الموجود الان وعند الفقهاء هو العكس ففي البداية عندهم الاعتقاد بالله وجمع الادلة ومن ثم الإيمان و هذا غير صـــحيح ، ولو رجعنا إلى التاريخ وفي عهد الرسول والخلفاء ماكان عندهم الاعتقاد اهم من الإيمان ولا يبحثون في الاعتقاد وصـفات الله فالإيمان هو الجوهر وهو المهم ، البحث في الاعتقاد وصفات الله اتت بعد قرن الى قرنين بعد الرســـول وذلك عند المعتزلـة وعلمـاء الكلام ، اما الحقيقة هي العكس قلبك مؤمن فعقلك كذلك مؤمن لأنـه يتبع قلبك ، الملحد قلبـه غير مؤمن يوظف عقلـه فتراه يأتي بالكثير من الأدلة على عدم وجود الله ، فالمسـلم مثلا هو مؤمن فسوف يوظف عقلة لدعم عقيدته ويأتي بأدلة تدعم هذه العقيدة ، فـالإيمـان حـاجـة نطلبهـا من الله لنقص فينـا والله هو الذي يعطينا روح الايمان ، السـعي في طريق الله هو الايمان او الوصـــول للإيمان ، ففي البداية لا يوجد إيمان بعد ســعيك واكتمال فكرك تحصل على الإيمان ويعطيك الله روح الإيمان ، و هذه الروح الالهية هيه روح الإيمان ، اما الروح العادية التي تجعلنا نعيش هذه ليســـت روح الله المقدســـة بل روح حيوانية فنحن كبشــر نشــترك مع كل المخلوقات بهذه الروح العادية ، اما الروح التي نفخها الله في الإنسان فقط وليس لكل إنسـان لما (فاذا سـويته ونفخت فيه من روحي) اي الانسـان المســتوي فقط يحصــل الا هذه الروح عندما يســتوي عمرا وفكرا يحصـل عليها ، وطبعا ليس كل البشـر يحصـلون عليها الى من احب الله في قلبه وطلب الكمال والحق والمطلق ،

اذا الإيمان امر الالهي والاعتقاد امر بشـــري الايمان موحد فتجد على سـبيل المثال مجالس العرفاء من كل الاديان وليس عندهم مشـكلة تجد الشـيعي والسـني وغير الاديان مسـيحي يهودي يوحدهم الايمان " [١٨]

الايمـان حـالـة وجوديـة وليس حـالـة معرفيـة هو الحـب لله والاخرين والتوكل عليه وهذا هو المطلوب من الإنسـان ، اما العقـائـد والاعتقـاد بـالله امر ذهني وقـد اصـــبح عنـد علمـاء اللاهوت امر شــبه بديهي منذ زمن من مئتان ســنة الى اليوم وهو اثبات الاعتقاد بوجود الله امر لا يمكن عقلا ، وكما يقول الفيلســـوف(كـانط) بـأن الأدلـة على وجود وعدم وجود الله متكافئة. الاعتقاد ما تورثه لك العائلة والبيئة والمجتمع وهذا طبيعي جدا فهو موروث جغرافي، لكن الإيمان لا يورث مثلا لو كان هنالك مســلم تحول إلى مســيحي أو العكس أو ســني تحول إلى شـــيعي والعكس وهكذا، فهذا الذي ترك دينه أو مذهبة وتحول إلى غير مذهب أو دين فهو ترك ما ورثه من اعتقاد، أما الإيمان فهو لم يتخلى عنه، بمعنى لو ان شـــيعي ترك التشـــيع وأصـــبح ســـني فهو ترك الاعتقاد الموروث، صـــحيح هو ترك ما كان يعتقد من الإمامة والعصـــمة وغير ذلك، إلا أنه لم يترك الإيمان، ونادر جدا من يتركوا إيمانهم وبهذا يكون الاعتقاد موروث عكس الإيمان.

[١٨]) محاضرة الاستاذ أحمد القابجي، بعنوان حقيقة الإيمان بالله

الحرية والإيمان

الإيمان مقترن مع الحرية لأن أن لم تكن حرا في إيمانك فلا قيمة لهذا الإيمان، قيمة الإيمان وأنت حر، كما هو العمل الأخلاقي فالإيمان كعمل أخلاقي تقم به، فلو أعطيت مليون دينار إلى أحد الفقراء ولكنك أعطيته وأنت مهدد أو مكره على اعطائك له، فلا يكون هنالك اي قيمة على عملك هذا، هكذا هو الإيمان فالحرية تضمن وجود الإيمان الحقيقي وبعدم وجود الحرية تظهر ظاهرة النفاق وغيرها، لكون هذا الذي أظهر الإيمان كذبا لم يكن حرا فلو كان كذلك فلا داعي من التظاهر الكاذب، وان عدم الإيمان أفضل من النفاق فوجود الحرية تجعل من المؤمن مؤمنا حقيقيا، ولا يمكن لعاقل أن ينكر ضرورة الحرية في حياة الإنسان عامة وفي الإيمان خاصة، وفي العصر الحديث أصبحت الحرية ركن من أركان عصر الحداثة، لكن في العصور السابقة كان يمارس الاستعباد بشتاء أنواعه ومنها إجبار الإنسان على الإيمان في أغلب الحضارات في الشرق والغرب، وذلك من عدة طرق منها : محاكم التفتيش اصدار فتاوى الهرطقة وما شابه في أوربا وقتل من يخالف الكنيسة، كذلك فتاوى وأحكام الردة على غير المؤمنين في الإسلام، وطبعا شرقا وغربا كان يمارس هذا الاستعباد ليس من أجل الرب أو الدين انما من أجل السلطة سواء كانت السلطة الدينية أو السلطة الحاكمة فالدكتاتوريات تقوم على استعباد الناس والأمر لم يقتصر على حرية الإنسان فحسب عند الغرب بل راءوا لابد من الحرية الفكرية و التعددية بمعنى اعطاء الحق للآخر.

التعددية الدينية

التعددية الدينية كفرع من فروع مباحث فلسفة الدين، تري انه في عصـــر التعدد الديني والعقائد المختلفة، يكون التوافق في الفكر و الاتجاه، وأن يعطى الحق لكل معتقد ولا يحتكر مع طائفة ما، او في الاقل، التعايش القائم علي الفهم المتبادل برزت نظرية التعددية على يد (ويلفرد كنتول) أستاذ معهد الإلهيات في هارفرد، ومن ثم تلقاها تلامذته من بعده إلا أن المتكلم (جون هيك) الذي هو أحد تلامذة كنتول يصنف بأنه من أبرز وأهم المنظرين للتعددية الدينية، وقد تعرض في كتابه " فلســفة الدين " والذي طبع عام ١٩٦٣م، إلى هذه النظرية وبشكل مفصل نسبيا [١٩]، وطبعا فكرة التعددية لم تظهر اعتباطا، وأن تعدد الحق في الأديان من منطق انها كلها تدعوا إلى البحث عن الحقيقة، وأن كل الأديان والمذاهب والمدارس تدور في مدار الحقيقة، إذ أن الحقيقة هي المحور والمركز وليس كما يتصـــور بأن الدين هو المحور، مثلا الحقيقة هي الذات المقدســـة فكل الأديان والمذاهب تســـعى لطريق الله وتدعو له، كلن حســـب ثقافته وظروفه وبيئته، أو أن الحقيقة الإيمان بالله كذلك الكل تدعوا لهذا الإيمان وكما ذكرنا فهو جوهر كل دين، ويؤكد " هربرت ســبنســر " في كتابه " المبادئ الأولى " (الإيمان بقوة لا يمكن تصـــور نهايتها الزمانية ولا المكانية، ذلك هو العنصـــر الرئيســـي في الدين) [٢٠]

[١٩] التعددية الدينية، حيدر حب الله، صفحة ٥٤_٥٥
[٢٠] غيضان السيد علي، فلسفة الدين، صفحة ٢٩

وأن ثقافة المجتمع والبيئة والظروف التي يولد فيها ذلك الدين يرسم بقيته، وأن الأديان تكون أو ظهرت بسبب علل وليست بسبب أدلة، بمعنى انه لا يوجد هنالك وحدة قياس خارج الإنسان لمعرفة دين ألحق أو ألحق مع من، في فكرة " الأنحصارية الدينية " المتدينون يؤكدوا ان دينهم وحده على حق، وبأنكارهم لأديان الآخرين و يرون ان طريق السعادة والهداية لا يعرف الا باعتناق دينهم وحده، و في الطرف الآخر، تري فكرة الاشتراكية الدينية ان اتباع الدين الذين يقولون بأحقية دينهم يعتقدون ان سائر الاديان الأخرى يحق لها ان تشترك معهم في القول بهذه الاحقية، وهم في الواقع وضمن مايرون ان عناصر الاديان الأخرى تفرعات واقسام من دينهم، وانها لظروف خاصة برزت تحت اسماء وعناوين مختلفة، و عليه، فان الاديان والمدارس الأخرى من حيث كونها على حق في بيان حقائق هذا الدين، لها ان تسير على طريق السعادة والهداية .

في التعددية الدينية، بعكس الفكرتين المذكورتين، وجهة النظر العامة هي ان كل دين ومذهب يعتبر، مستقلا، طريقا الى السعادة، وبما ان هدف الجميع واحد، وان جميع الاديان تبحث عن الحقيقة وتتجه نحو مقصود واحد، فكل الاديان على حق و في الواقع، ما الأديان الا طرق مختلفة والسنة متباينة للوصول الي الحقيقة، (جون هيك) ، احد رواد هذا المذهب، يشرح هذه المسالة بضرب مثل من علم الهيئة، فهو يقول ان الارض بقيت سنوات طويلة تعتبر هي محور الكون وان العالم كان يدور حولها، في الوقت الذي لم تكن هذه هي الحقيقة، انما ظن الناس هو الذي اظهرها علي هذه الصورة

ولكن بعد اتضاح الحقيقة، ظهر ان المحور شيء ء آخر، وان الارض جزء من منظومة تدور حول ذلك المحور، كذلك الحال في ميدان التفكر الديني، فقد حسب اصحاب الاديان لسنوات طويلة ان دينهم هو محور الحقيقة، وان ذلك هو وحده الطريق للوصول الى الحقيقة، وان الطرق الأخرى والباحثين الآخرين عن الحقيقة يجب ان يدوروا حول دينهم، ولكننا اليوم نرى ان المحور شيء آخر، وهو الحقيقة نفسها، اذ ان حقيقة العالم مهما يكن الاسم الذي تتخذه، هي المحور وان جميع الاديان والمذاهب والعقائد والمدارس تدور حولها، وهي في الواقع طرق للوصول الي تلك الحقيقة ، ما قدّمه إخوان الصفا: الحق موجود في كل دين، والحق يجري في كل لسان، ومن الممكن أن تعرض الشبهة على كل إنسان[٢١]ولقد تجلت في بعض طرق التصوّف الفلسفي، وضمن ذلك يورد عبد الكريم سروش في التدليل على وجود جذور تاريخية للتعددية الدينية أبيات لمحيي الدين بن عربي :

وقد صار قلبي قابلاً كل صورة

فمرعى لغزلان وبيت لأوثان

ودير لرهبان وكعبة طائف

وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى تواجهت

ركائبه أرسلت ديني وإيماني[٢٢]

---

[٢١] التعددية الدينية نقد وتحليل، جعفر السبحاني، صفحة ٥

[٢٢] عبد الكريم سروش، الصراطات المستقيمة،ترجمة احمد القبانجي، صفحة ٢

وهنالك اعتراض من قبل المتكلمين المسلمين على التعددية الدينية، ووضعوا بعض الإشكالات على النظرية وأن هذه الأدلة التي استدلوا بها يرون أنها تبطل القول بالتعددية وأن اشكالان يردون به التعددية كما ذكر ذلك (الشيخ جعفر السبحاني) في " التعددية نقد وتحليل" ، وهما أشكال اختلاف الشرائع والعقائد مثلا الثالوث عند المسيحيين والتوحيد عند المسلمين، وكذلك اختلاف الأحكام الشرعية مثلا حرمة الخمر عند المسلمين واباحته عند المسيحيين، اذا لا يمكن قبول التعددية مع اختلاف عقائدي أو فقهي، وطبعا هذا أقوى دليل أو اعتراض يقدم ضد التعددية، وأن هذا الدليل أو الرد لا يصمد ضد القول بالتعددية، فضلا من أن التعددية تركز على جوهر الدين وأن اغلب الأديان متشابهة الجوهر، هذا الرد والدليل الذي جاء به متكلمين المسلمين ضد التعددية يرجع بالضد عليهم، وذلك بما أن المذاهب الإسلامية مختلفة بعض الشيء سواء كان اختلاف عقائدي أو فقهي فيمكن تطبيق هذا الدليل ضد اختلاف المذاهب ولا يكن هنالك توافق مذهبي، بل ويكون كل مذهب دين ولا يقبل المذهب الآخر وفقا لهذا الدليل، ويستشهد المتكلمين ضد التعددية بالآيات القرآنية كقوله تعالى {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[٢٣]، وطبعا حتى تفهم النص الديني يجب اولاً أن تفهم الله و سنذكر ذلك لاحقا، ومع الفهم من الدين وفهم الله وأن جوهر الدين هو الإيمان بالله و هذا كما ذكرنا متفق عليه في أغلب الاديان، فيمكن القول أن الإسلام في هذه الآية يكون التسليم لله والتوكل عليه، وليس حصرا الدين الإسلامي،

[٢٣] ال عمران ٨٥

فعندما نفهم الله وانه تعالى رحمن كلي الرحمة فبهذا القول تكون رحمته تشمل كل المؤمنين، وليس المقصود منها اي الآية المذكورة دين الإسلام لأنه يكون تحجيم وحصر لرحمة، وهذا لا يتوافق مع الرحمة المطلقة، وهنالك من الآيات القرآنية والتي تدعم القول بالتعددية وهي { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٢٤].
وان مسألة النسخ في الأحكام التي اوردها (الشيخ جعفر السبحاني) في " التعددية نقد وتحليل " ويرى انه يجب اتباع دين نسخ بأحكامه من هو قبله، ويرى أيضا تجريد الدين عن الشريعة إنهاء للدين والحياة الدينية[٢٥] أن الأحكام الشرعية لا تشكل جوهر الدين إنما هي قشوره وأن الدين لا يفنى إذا نفيت القشور، ثم أن تغيير ونسخ الأحكام أمر طبيعي لتغير الزمان والظروف والثقافة والعقلية والخ، حتى الأحكام الإسلامية والتي تعد آخر الأحكام نزولا والتي نسخت كل الأحكام الدينية التي كانت قبلها، اليوم في عصرنا الحالي مع تغير الظروف والثقافة والزمان، نجد كل الدول الإسلامية لا تعمل بالأحكام الشريعة كحد السرقة وجلد الزاني والخ، وانها اي الدول الإسلامية تعمل بقوانين مدنية وضعية، وطبعا هذا يعد أمر طبيعي وايجابي مع تغير الزمان والثقافة، وان تغير الأحكام بالقوانين المدنية لا يخدش بالدين كما ذكرنا من ان هذه الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام،

---

[٢٤] المائدة ٦٩
[٢٥] التعددية الدينية نقد وتحليل، جعفر السبحاني صفحة ٥٨

كانت منسجمة مع ظروف وثقافة زمانها ومن الطبيعي مع تغير هذا الظروف تتغير الأحكام، وان هذا الأحكام هيه قشور الدين لا جوهره و المتغير هو القشر وليس الجوهر. الأحكام الشرعية تكون لحاجات بشرية وتتغير مع تغير الحاجات، مثلا حكم الجهاد وحكم الرق وغيرها هذه الأحكام كانت لها حاجة في عصر صدورها أما الان انتفت هذه الحاجة ويكون بالضرورة إلغاء الحكم أو تغييره.

إشكالات الدين ، عقلنة الدين

إن عقلنة الدين أمر يعني التفسير العقلاني للدين ولظواهره الأساسية من نبوة ووحي ومعجزات ونص ديني وشريعة، والتفسير العقلاني للدين هو التفسير الطبيعي والمنطقي لهذه الظواهر، فبدلاً من أن تكون ظواهر الدين عصية على الفهم العقلي ومنتمية للإيمان وحده وللمجال العجائبي الخارق للطبيعة، تحاول الاتجاهات الفلسفية في عقلنة الدين استيعاب هذه الظواهر بالعقل، والاستيعاب بالعقل هو العثور على أسباب عقلية للظاهرة الدينية، وأن مسألة اعطاء مجال كافي للعقل في تفسير النصوص الدينية تفسيرا يلائم عقلنة العصر، فقد كأن المعتزلة أول من داعى إلى هذه العقلنة في تاريخ الإسلام.

أن فكرة عقلنة الدين أو حل بعض الإشكالات والمتعارضات يبدا من تأويل يراعي العقلية المعاصرة، والتأويل ينطلق من فهم الله وفهم النص الإلهي، القراءة الكلاسيكية للنصوص الدينية والتي تكون فيها

تعارض مع العقل، أو أنها لم تحل بعض الإشكالات في تأويلها للنص، والسبب في ذلك يرجع للأسبقية التاريخية حيث لم تكن هنالك منهجية الهيرمينيوطيقية، واعتمادها على المنظومة الفلسفية الأرسطية، والفرق بين نظرية التأويل الكلاسيكية والتأويلات الحديثة، أن الأخيرة عاملت النص الديني من منطلق تعبيره عن معان عميقة، أنطولوجية ووجودية لم يكن معاصرو النص الديني ومستقبلوه الأوائل على وعي بها، فإن قراءة النص وفق منهجية وإعطاؤه تأويل يوافق العقلية المعاصرة فسيتحقق المطلب من عقلنة الدين.

الفهم التقليدي عن الدين يرى اصحاب الأديان أو المذاهب الحق واحد وعند احدهم، وهنالك تمثيل ورد في منثوي " جلال الدين الرومي " يعطي فكرة عن فهم الناس كلن حسب أدراكه وثقافته، هو : جيئ بفيل إلى مجموعة من المكفوفين لم ير أحد منهم الفيل قط، فلمس أحدهم رجل الفيل وقال : الفيل عمود كبير.والآخر لمس خرطوم الفيل وقال : الفيل أفعى عظيمة الجسم. والثالث لمس عاج الفيل فقال : الفيل يشبه شفرة المحراث، وإلى آخره. وطبعا كل هؤلاء على حق لأن كل واحد منهم أشار لجزء من الحقيقة، وأراد أن يعبر عنها بتشبيه ناقص. فلا يمكن الجزم على أحقية معتقد ما دون معتقد، لكن في القراءة التقليدية عندهم الحقيقة تكون مع واحد وما عداه باطل،

هم عندهم الحق واضح جدا مثلا السنة يعتبرون انفسهم هم على حق والحق واضح جدا وانه معهم، وكذلك الشيعة الامامية والاسماعيلية والسلفية وغيرهم، الكل يعتقد هو على حق وهذا الحق، وهذه " الأنحصارية الدينية،" يعني أن غيرهم ومن يخالفهم على باطل وبالتالي الحق ينجو والباطل

يعذب، لكن الحق الديني ليس واضـح ولايمكن إثباته مع من ، الحقيقة هيه أن الحق الديني غامض ولو كان واضح فمستحيل أن يختلف العقلاء فيه ، لماذا كانت هنالك مذاهب متعددة لو كان الحق واضح ، طيب وإذا أنا ولدت وأنا شيعي سيعتبرني الشـيعي اني على حق وأنا لم اختر المذهب والدين لكن ولدت ووجدت نفسي عليه وكذلك السني سيعتبرني مخالف له واني على الباطل وكذلك اذا ولدت وأنا على المذهب السني ، وليس من العدالة أن اولد على مذهب ودين وفي النهاية يتبين أنه مذهب باطل وتتم معاقبتي عليه ويكافئه من يولد على المذهب الحق ، المعتقدات هيه موروث جغرافي وثقافي ما تورثه لك العـائلـة والبيئـة والمجتمع الـذي تعيش فيـه إذا ولـدت في السعودية تكون مسلم سني وإذا في إيران مسلم شيعي وإذا في إيطاليا مسـيحي وفي إسـرائيل يهودي وهكذا ، أنت لا تختار دينك لا كنك تختار الإيمان وهو ما يريده الله منك وهو جوهر الدين ، سـيخبرونك بانك لابد أن تبحث في المذاهب حتى تعرف الحق وتتبعه وتبحث في الأديان لتعرف الدين الحق، وهذا مخـالف للعقل لأن مـا مكن أن تبحـث الآلاف الأديـان والمذاهب عمرك لا يسـمح بذلك فضـلا عن عمرك الصـغير أنت في عمرك الصـغير هذا مشـغول في امورك الحياتية ولسـت متفرغ للبحث، وكذلك جهلك في الأمور الدينية وأن قولهم بـأن هنـالك فئـة معينـة على الحق و البـاقي بـاطـل غير منطقي لأن أصـحاب ألحق لم يختاروا ما هم عليه وكذلك أصـحاب الباطل وهذا قولهم يحجم رحمة الله سـبحانه في فئة صـغيرة وهذا مخالف لرحمة الله الذي وسـعت كل شـيء، هم توهموا حول الحق الديني وتصـوروا أنه حق خارجي وهذا خطأ لأنه ليس خارجي مثلا أنت الان تحمل كتاب عندما تقول هذا كتاب فهذا حق خارجي واقعي ولو اجتمع كل البشـر لم يخالفوك سـيقولون كلهم كما تقول لأنه فعلا كتاب، ولن تجد

أحد يقول أنه تلفاز فالحق الديني ليس حق ظاهري أو خارجي مطابق للواقع وهذا الخطأ الذي وقعو فيه، الحق مع الكل وكلاً حسب فهمه وهو ما تراه التعددية والتي بالضد من الأنحصارية.

فهم الله سبحانه

يقول (جبران خليل جبران) " إذا أردتم أن تعرفوا الله فلا تشغلوا أنفسكم بحل الألغاز، بل انظروا حولكم تروه يداعب أطفالكم، وانظروا إلى الفضاء تروه يسير بين السحاب ويبسط ذراعيه في البرق ويتنزل مع المطر، أجل تروه يبتسم في الزهر، ثم يصعد ويلوح بيده في الشجر"

الله القوى العليا اللامتناهية في كل صفاته والتي تحدث النصوص المقدسة عنها، فهو رحمن كلي الرحمة ولطيف وحنان والخ، فهو خير مطلق لامتناهي وطبعا لا يمكن للفكر أن يتصور اللامتناهي فضلا عن وصفه، لكن وصف الله ككيان خارجي بمعنى خارج وجدان الإنسان، قد لا يكون بالوصف الدقيق كونه يجر البعض إلى التجسيم، ولم تختص فكرة التجسيم عند الوثنين بل دخلت عند أهل التوحيد وفي الإسلام، وهذا من فهم كما ذكرنا عن النص فقراءة اية مثل {يد الله فوق أيديهم}[٢٦]،

[٢٦] الفتح ١٠

والقول بالتجسيد بسبب فهم النص والقراءة السطحية وان كانت صحيحة للنص إلا انها مخالفة للفهم، والتأويل يأتي هنا لحل الاشكالات ويعبر عن اليد بأنه تعبير مجازي عن القدرة، والقول بأن الله ليس بكيان خارجي يحل الكثير من الاشكالات وأهمها يكون وجوده حضوري في قلب الإنسان، كونه ليس مفارق له وكما ينقل عن الامام علي حول وصفه لله فيقول " داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء، وخارج عن الأشياء لا كشيء خارج من شيء "[٢٧] ويمكن تفسير قول الإمام على أن الله داخل في الأشياء ليس دخول مادي، وخارج عنها ليس بخروج روحي أو نفسي، الله في وجدان وقلب الإنسان فهو الحب ذات الحب وهو الخير والكمال المطلق، وعلى مقدار فهمك عن الله يكون مقدار إيمانك به، وعندما نفهم من صفاته انه مطلق الحب والخير واللطف والخ، يكون اهلا للحب ومنتهى الحب وكما يقال من احب شيء انجذب له ومن خاف شيء هرب منه، وبهذا الفهم عن الله نستطيع أن نحل كل الاشكالات والتناقضات.

هنالك البعض من يرى أن الدين لا يخلو من إشكالات، سواء كانت أخلاقية كالإبادة الجماعية التي عذب بها الله بعض الاقوام، أو بعض التناقضات والتي تكون تناقضات بين الرحمة والعدالة المطلقة وبين العذاب الازلي لمن كتب عليهم العذاب، وقد يذهب صاحب الأشكال إلى القول بلا دينية ويعتبر الدين صناعة بشرية،

[٢٧] التوحيد للصدوق، صفحة ٣٠٥_٣٠٦

أو من يذهب إلى إنكار وجود الله وطبعا موقف الثاني لا يصح منطقيا كون إنكار الدين لا يعني عدم وجود الله، وهذه الإشكالات قد تكون في حقيقتها سوء فهم لله وللنص الديني، أو بسبب اعتماد تأويل كلاسيكي للنصوص.

القرآن الكريم هو المصدر الأول لتعاليم الله التي اوحاها للرسول ، وطبعا الرسول ص عاش في عصر وبيئة كانت تفتخر في بلاغة لغتها ، وكان في ذلك العصر ظهور الكثير من المواهب الشعرية والنثرية وفن الخطابة وشخصيات اجادت و أتقنت هذه المواهب والفنون ، والرسول هو ابن هذه الثقافة والبيئة فضلا انه رسول ويوحى له. القران هو كلام الإلهي وهذا صحيح لكن هل هو حرفيا كلام الله لأن هنالك فرق بين كلام الله وبين كلام الإلهي، فكلام الله يعني أن الآيات والسور في القرآن حرفيا كلام قاله الله و أوحى للرسول ، اما الكلام الإلهي يكون الآيات والسور مفاهيم الإلهية لكن الكلام كلام الرسول او جبرائيل، قبل ان نتكلم عن هذا الموضوع هل الكلام من الله او جبرائيل أو الرسول اعلم صديقي القارئ أن اللغة اختراع بشري فاللغة شيء اعتباري اخترعها البشر حتى يتمكنون من التواصل فيما بينهم فمنذ الاف السنين لم يكن عند البشر لغة وكانوا يتواصلون عبر الإشارة وتدريجيا طور البشر اللغة لتسهيل عملية التواصل ، اما القرآن الكريم هل هو كلام الله اعطا للرسول ، اذا قلنا نعم فان الله لا يتكلم واذا أراد أعطاه للرسول نصا فسوف يخلق الكلام ، وهنا مختلف فيه علماء المسلمين هل القرآن مخلوق أم لا؟

فقد ذهب المعتزلة والاباضـية [٢٨] وبعض الشـيعة[٢٩] إلى القول بأنه اي القرآن مخلوق، وذهب أغلب الســـنة إلى القول بأنه غير مخلوق، ولكن منهم له ادلته على ما ذهب إليه وان مسألة هل هو مخلوق أم لا، تعد مشكلة وأنها كلاتي:

_ إذا قلنا مخلوق وإنه كلام الله فهذا لا يمكن لأن الله لا يتكلم، وأن تكلم الله يكون فيه تركيب لله وان الله بسيط وليس مركب.

_ وإذا قلنا انه غير مخلوق هذا أيضـــا لا يصـــح لأنه يصـــبح ازلي ولا شـــيء غير الله ازلي، وكل شـــيء عدا الخالق يعد مخلوق.

وحتى نحل هذا الاشكال ونعطي فهما اقرب للحقيقة هي القول بأن القران مفاهيمه وتعاليمه من الله اما الكلام النصـــي من الرسـول، ويكون الوحي للرسـول وحي بالمفاهيم والتعاليم أما الكلام النصـــي كأحرف وكلمات فهي من رســـول الله، ومن المعتاد في كل قصـــص الأنبياء ان لهم معاجز وهذه المعاجز تكون الحجـة البينـة على قوم ذلك النبي حتى يثبت لهم انـه مرســل من الله ، وبما أن الرســول ص أعلن عن نبوته طلب منه اهل مكة ان يأتي بمعجزة حتى يؤمنوا به ولم يأتي بغير القران ، قال اغلب علماء المسـلمين بأن معجزة الرسـول هيه القران و استدلوا بذلك الى التحدي الذي اتا به القران كما جاء في الآيـة الكريمـة {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ} [٣٠]

[٢٨] الدليل والبرهان، صفحة ، ٧٢_٧٣
[٢٩] التوحيد للصدوق، صفحة ٢٢٤
[٣٠] الإسراء ٨٨

والأمر الاخر الذي قالو بأن القرآن معجزة هو لأنه لم تكن للرسول معجزة ظاهرة للناس ، اذا قلنا بأن القرآن الكريم بليغ وبلاغته غير عادية هذا صحيح لكن ليس معجزة لأن الإعجاز ما يعجز عنه الناس و المعجزة كسر للقوانين بمعنى خارقة للعادة ، اما البلاغة فلا يعجز الناس ان يكونوا بلغا وكذلك البلاغة لا تخترق العادة ، واذا قلنا بان المعجزة للقرآن في البلاغة لتثبت بأن هذا الكلام الإلهي هذا غير صحيح كذلك لان البلاغة لا تدل على ان الكلام الإلهي ، الرسول هو أعلم أهل الأرض وكذلك يوحى له من الله فا اذا كان المتنبي وأحمد شوقي بلغا في كلامهم مع اختلاف الفوارق بمعنى أحمد شوقي و المتنبي ليسوا اعلم اهل الأرض ولا يوحى لهم فسيكون وفقا لهذه القاعدة كلامهم معجزة بلاغية فهذا خطأ ولا احد يقول بأن كلامهم معجزة بلاغية ، وأن الهدف الرئيسي من الوحي الإلهي ليس تعليم قواعد وأسس اللغة العربية او اي لغة اخرى ، هدف الوحي الإلهي لرسول الله هو تعليم الناس وصايا الله وطريقه وحقه حتى ينموا روحيا وحتى يعيشون في سلام و وئام ومحبة وفرح ، لهذا من المهم جدا ان يستطيع الشخص العادي ان يفهم الوحي الإلهي فهو ليس موجها لقله من علماء وخبراء اللغة ، فكان القران في زمن الرسول مفهوم عند معاصريه ، واما التحدي يثبت أن القرآن الكريم معجزة فهذا سوء فهم لا غير لأن القرآن كتاب عالمي يعني لكل اللغات والقوميات وليس من المنطقي ان يكون تحدي لكل البشر مع اختلاف لغاتهم ، فمن غير المنطقي أن تطلب من فارسي او ألماني او بريطاني ان يأتي ببلاغة عربية افضل من القرآن فهذا التحدي باطل مع اختلاف الفارق ، واذا أردنا التحدي منطقي وعادل فيجب أن

يكون تحدي لأهل لغة القران فقط وهم العرب ، ألا اننا نجد التحدي شـــامل لكل الناس و واقعا الناس لهم لغاتهم فاذا كان التحدي من أجل البلاغة العربية التي في القرآن فانه باطل ولا يجب ان يكون شامل لكل الناس ، وكذلك في التحدي نجد تحدي للجن ونحن لا نتواصـــل مع الجن فهل الجن العرب فازو في التحدي ام لا فنحن لا نعلم ، وفقا لما يقولونه بأن هذا التحدي يثبت معجزة القرآن وبلاغته فهذا خطأ وتحدي يكون باطل ، ولكن نحن نراه تحدي صـــحيح ويمكن أن يتحدى به كـل البشـــر والجن وأن التحـدي على انــه كلام الإلهي وهذا التأويل للآية التي تتكلم عن التحدي وهو اقرب للحقيقة ، الله ســـبحانه أوحى الى الرســـول وهذا القران كلام الإلهي وتحدى به كل البشـــر والجن أن يأتون مثله فلا يســـتطيعون بسبب لأنه الإلهي ، فيستطيع البشر ان يؤلفون الأف وملايين الكتب لكن لا يمكن لهم أن يأتون بســطر واحد الإلهي ، وهذا صـــحيح ويكون تحدي منطقي لكل القوميات واللغات. ومن الاشـكالات التي تطرح كأشـكال أخلاقي هو الإبادة الجماعية على الاقوام السابقة، وإنه إذا كان الله يعذب الناس على كفرهم بالزلازل والفيضـــانات وما شـــابه، لماذا توقف هذا العذاب؟ وإنه ما يحصل الان مجرد كوارث طبيعية وليس غضب الله، وهل ما كان يحصل في السابق من كوارث طبيعية فيعتبرونها غضـب وعذاب من الله؟ مع ان تم ختم الانبياء بالرسـول ص ومن بـاب أولى ان يعـذب النـاس الان لأنهم قـد القي عليهم الحجة ، فالأقوام كقوم نوح وصالح و لوط ما مرت عليهم كل الانبياء كما مرت على الناس بعد الرسـول ، والأشـكال الأخر أنـه عنـدمـا مثلا وقع العذاب على قوم صـــالح لأنـه هنـالك مجموعة تجاوزت الحد و عقروا الناقة وحل عليهم العذاب، الأشـكال هنا لماذا يتم عذاب جميع الناس أي قوم صـــالح مع العلم ليس كلهم شـــاركوا في هذه الجريمة فما ذنب الأطفال و

المستضعفين والنساء الذي لا حول لهم ولا قوة، وهذا العذاب هنا تعارض مع الرحمة والعدالة الإلهية المطلقة ، فمن العدالة أن تتم معاقبة المجرمين فقط ولا يتم جمع الأبرياء معهم في هذا العذاب ، قد يقول قائل بأن الذين لم يقوموا بالجريمة إلا انهم كانوا مؤيدين و راضين عن فعل المجرمين ، هذا القول خطأ لأن الأطفال والنساء ليس لهم أراء بالرفض او القبول حتى تفهم الآية والنص لابد ان تفهم الله سبحانه عندما تفهم الله وتعرفه من صفاته كالرحمة والعدل واللطف والحكمة والخ سنفهم النص مثلا هذه الاقوام تعرضت إلى اوبة أمراض مميته او كوارث طبيعية قتلت هذه الاقوام ، لكن عندما كان يمر الناس و يرون بقاياهم من هايكل عظمية كانوا يقولون بأن اصنامهم غضبت على هذه القوام وابادتهم جميعا ، وهذه القصص لم يتناقلها أصحاب الأديان الوضعية الشركية فقط بل حتى الأديان السماوية ، لذلك قص لنا القرآن الكريم هذه القصص لكون الناس في ذلك العصر كانوا يتناقلونها و أراد الله من ذكر ها بأن يقول لهم بما معناه اذا كنتم تؤمنون بهذه القصص فالله هو من أراد ذلك وفعله ، الناس كان سبب إيمانهم في هذه الآلهة هو الخوف في الدرجة الأولى فكانوا يفسرون الظواهر الطبيعية بانها غضب الإله وكانوا يقربون القرابين حتى لا يغضب الإله ، فاراد الله سبحانه يؤمنوا به ويكونوا موحدين وأن يتركوا الاصنام والاهتهم المزيفة وأن الاصنام لا علاقة لها بهذه القصص وما جرى على هذه الاقوام وان الأمر يرجع إلى الله و هذا شيء منطقي لأقناع عقول في ذلك العصر التي كانت تعتقد بأن اصنامهم هيه من عذب تلك الاقوام ، وبهذا الفهم والتأويل لهذه القصص تحل كل الإشكالات المتعلقة في العدالة والرحمة الإلهية على الابادة الجماعية ، وكذلك حل الاشكالات العقلية على الكوارث الطبيعية التي تصيب الكوكب من أمراض و زلازل

و فيضـــانات وغيرها ، وأنه لماذا توقف هذا العذاب في عصـــرنا الحالي وما يحصـــل الأن كوارث طبيعية ، حلت الاشـكالات وليس في هذه القصـص فقط بل كل الاشـكالات العقلية والعلمية الموجودة في القرآن الكريم ، والتأويل يحل لنا كل الإشـكالات وهنالك الكثير من التأويلات والتفسـيرات للقرآن ، قال المعتزلة مثلا بالمجاز لحل الإشكالات ومنهم من أخذ بالظاهر للنص كالمجســمة والجبرية ، ولكن حتى نفهم النص الديني ونحصـل على تأويل يحل كل المشـاكل ويكون مقبول عقليا فيجب الاعتماد على طرق علمية حديثة في تأويل النص مثل علم الهيرمينوطيقا فالقران نص كلامي والكلام يفهم ، مثلا انت عندما تنظر إلى الشـــجرة فانت تعلم في الشـــجرة ولكن الكلام يفهم لا يعلم، عن طريق الهيرمينوطيقا ســـنفهم النص ، والقرآن كما قال الامام علي ع انه صـــامت بمعنى انت عندما تقرئه ســـتعطيه المعنى فالقارئ هو من يعطي المعنى للقرآن ، وهذا القارئ عندما يأتي لقراءة القران يحمل معه مسبوقات ذهنية ورغبة وهذا المسبوقات والرغبة ستحدد فهمه للنص القرآني ، لذلك تجد الشيعي يفسر القران بما يوافق فكره وكذلك الســني والصــوفي والخ ، وبهذا نجد الجواب الذي يقول به علماء المسلمين بأن (المعنى والقصـد من الآية واحد ولكن اهواء المفسر هو الذي يغير المعنى وهذا خطأ المفسر وهو معذور) ، لكن وفقا للهيرمينوطيقا نرى هذا جوابهم وقولهم غير صحيح لان ليس كل المفسرين لهم اهواء في تفسيرهم وانما السبب كما ذكرنا المسبوقات التي في ذهن المفسر، و المفسر يلعب دور مهم في استخراج المعنى ، لذلك تجد المتعصـــب و التكفيري يرى القران يوافق رائيه وكذلك تجد المعتدل يرى القرآن يوافق رائيه مع العلم النص واحد لكن الاختلاف في القارئ و المســبوقات و الرغبات التي يحملها،

انتشـــرتْ ظـاهرة "الإعجـاز العلمي للقرآن" وروّج لهـا كثيرون، وذلك ســـعيا منهم لجعل القرآن كتاب يحتوي على جميع العلوم الـدنيويـة، لكن في الحقيقـة القرآن الكريم كتـاب هدايـة وليس كتـاب علمي كـالفيزيـاء والكيميـاء والطـب، وأن أغلـب ممن يحـاولون أن يثبتوا أن القرآن ســـبق العلمـاء في النظريات العلمية التي توصـــل لها العقل البشـــري، فهؤلاء أرادو أن يعظم الدين انما قد يكونوا قد إساءوا له، عندما تقرأ القرآن تستفيد منه فهم الله والتقرب منه وتحصـل على الهداية من الموعظـة وكذلك تعاليم الشـــرع من حلال وحرام، اما المســـائل العلمية فهي لا علاقة لها بالقرآن وهذا طبيعي ولا يخدش في قدســـية القرآن وعظمته، ومن الخطأ الاســـتدلال بنص ديني على انـه يوافق نظريـة علميـة، أو القول بـأن النظرية العلمية هذه أو تلك قد تم الإشـارة لها بنص ديني كآية قرآنية، لأنه لا يوجد تناســب بين الدليل والمدعى فكل نظرية اذا كانت علمية فيجب أن يكون الدليل علمي، والقرآن كما ذكرنا ليس كتاب علمي فلا يمكن الاستدلال به على النظريات العلمية، مثلا ان تدعي بأن الضـوء أسـرع من الصـوت وأنه الأسرع في الكون ،ودليلك على هذا المدعى آية من القرآن أو حديث نبوي هذا خطأ لأن الدليل لا يتناسب مع المدعى عندما تقرأ نص ديني تحتاج إلى تفســـير وتأويل له، لأنه غالبا ما يكون مجازا فالتأويل يساعدك على فهم النص وهذا هو الفرق بين الكتب الدينية والأدبية وبين الكتب العلمية، الكتب العلمية مثل الفيزياء والرياضـيات والكيمياء لا تحتاج الى تأويل لأنها تتكلم عن حقيقـة خـارجيـة مثلا يتكون المـاء من ذرتين هيدروجين وذرة أكسـجين، أو واحد زائد واحد يسـاوي اثنان فلن نحتاج لتأويلها، اما النصـــوص الدينية كذلك تتكلم عن حقيقة لا كنها أغلبها أمور غيبية وهي ليست واقع خارجي بل داخل الإنســان نفســه، ومن الخطأ تعرض نظرية علمية على

القرآن لأنـه ليس كتـاب علمي، وكـذلـك أن تحـاول أن تثبـت عقيدة بأدلة علمية وهذا خطأ أيضا، الله سبحانه وكل الغيبيات خارج الزمكانية بمعنى خارج نطاق العقل ولذلك لا يمكن الاســتدلال بها عقليا ، وعندما تحاول تأويل نص يجب أن لا يكون التأويل والتفســير والفهم من النص معارض ومخالف للمسلمات العقلية والعلمية والمنطقية، ومثلأ الجزء اصغر من الكل والمثلث ثلاثة اضــلع والخ، بل التأويل هو من يحل المتعارضات والمخالفات الموجودة في النصوص فالقول بأن الكتب المقدســة هي نصــوص الإلهية خطابية وليســت كتب علمية ســتحل كل المشــاكل ،لكن عندما يقوم البعض بشــرح القرآن الكريم على انه مع كونه خطابي أيضــــا علمي وهنا تكون المشكلة ،

لو سئلنا كيف خلق الله الإنسان؟

الكون الـذي نعيش فيـه تحكمـه قوانين دقيقـة للغـايـة وعنـدمـا يحاول العقل البشري أن يكتشف تلك القوانين، حينئذ تتوضح له الصـورة عن نشـأة الكون، وهذا يجري مع كل الموجودات وواقعا اكتشـف العقل البشـري جملة من هذه القوانين وإعطاء لهـا تفســيرا علميـا دقيقـا، عرف الإنســـان كيف يهطـل المطر ولماذا تجذب الأرض ما عليها، وكيف تحصـل عملية المد والجزر في البحر والخ، وما الأســباب التي تقف وراء أغلـب الكوارث الطبيعيـة، والإنســـان أحد هذه الموجودات والتي قد يتمكن العقل البشري من إيجاد تفسير حول نشأة هذا الكائن، إذا أكتشــف القوانين التي تقف وراء عملية تكوينه، لذلك نجد ثمة فرضـيات ونظريات حاولت أن تعطي تفسـيرا علميا عن نشــأة الإنســـان كنظرية (التطور)" لداروين " وبما أن هذه النظرية تقوم على منهجية علمية وأن الأدلة التي

يستدل بها متناسبة مع المدعى كونها أدلة علمية، ولا نجد اي اختلاف أو تناقض بين النظريات العلمية والنصـوص الدينية باعتبار الأخيرة ليست علمية،

أما من يرفض بعض النظريات العلمية كنظرية التطور وذلك بـالاعتمـاد على مـا جـاء في النص الـديني عن كيفيـة نشـــأة الإنسان والكون، فمثلا ما جاء في القرآن عن قصة أدم وحواء واعتبر أصـحاب التفسـير التقليدي بأن قصـة أدم هي التفسـير لنشأة الإنسان لذلك يرفضون وبشدة اي تفسير علمي، وهنالك تفسـيرات معاصـرة أخذت بعين الاعتبار التقدم العلمي وتغير البديهيات والمسـلمات العقلية عند الإنسـان، لكون المسـلمات والبـديهيـات العقليـة تتغير مع التقـدم العلمي والفكري ،فالبديهيات قبل عصـر الحداثة تختلف في عصـر الحداثة لأن في هذا العصر تغيرت البديهيات، ففي السابق الحكم بالوراثة يعني إذا مـات الحـاكم أو الملـك ورث الحكم ابنـه أمـا الان اصـبحت الديمقراطية هيه من بداهات هذا العصـر، العبودية كانت بداهة العصر السابق والأن حقوق الإنسان بداهة عصر الحـداثـة، فـإذا اختلفـت البـديهيـات تختلف العقلانيـة ، فالعقلانية مشـككة لا نسـبية ونقصـد مشـككة منطقية وليس معرفية وتتغير مع تغير البديهيات ،في السـابق كانت العقلانية العلمية تقول بأن الشـــمس تدور والأرض ثابته وإذا قال أحد عكس ذلك يعتبروا مجنون والحق معهم لأنها من بداهات ذلك الزمان أما العقلانية العلمية لهذا العصر أثبت العكس وأصبح دوران الأرض حول الشـمس من البديهيات في هذا العصـر، فبعض المفســرين المواكبين للتقدم العلمي حاولوا أن يعطوا تأويل يراعي العقلية المعاصـــرة، فمثلا اعتبروا قصـــة أدم وحواء مجرد مثل ظربه الله كما يقول(السـيد الطبطبائي) "وبالجملة يشبه أن تكون هذه القصة التي قصها الله تعالى من

إسكان آدم وزوجته الجنة، ثم إهباطهما لأكل الشجرة كالمثل يمثل به ما كان الإنسان فيه قبل نزوله إلى الدنيا من السعادة والكرامة بسكونة حظيرة القدس، ومنزل الرفعة والقرب، ودار نعمة وسرور، وانس ونور، ورفقاء طاهرين، وإخلاء روحانيين، وجوار رب العالمين" [٣١]،القرآن الكريم إذا تكلم عن قصة أدم وحواء لكن لضرب المثال لأن الله خلق أدم وزوجته في الجنة كما جاء في القرآن وفي ذلك العالم أرواح فقط وليس مادة ويمكن القول أن الله خلق روح أدم التي تكلم عنها ونفخها في جسده المادي الأرضي الذي قد تطور، غير أن قصة أدم لا تحمل أدلة لأثباتها وكذلك المشاكل التي تواجهها مثل الفترة الزمنية لضهور أدم على الأرض، إذا اعتمدنا القول بأن هذه أمثلة ضربها الله للناس فبالتالي تكون أغلب القصص التي ذكرها القرآن امثله، فنتخلص من جميع الإشكالات المطروحة، ومن الإشكالات هو الذي يقول بأن شركة مارسيدس تنتج السيارات وأن تحرص على أن لا تخرج من المصنع اي سيارة بها مشكلة فنية أو ميكانيكيا ،وكيف الله سبحانه يخلق الناس وهنالك الملايين الذين يولدون وهم معاقين ولكن إذا قلنا أن الله خلق نظاما دقيقا للعالم والكون، ستكون المشكلة التي منها يولدون الاطفال وهم يعانون من عوق ومشاكل صحية هي في النظام وليس من الله ذاته ،ولا نقول بأن النظام هو الذي يخلق بل أن النظام له منظم وهو الله وانه يسير بالمشيئة الإلهية ،مع عصر الحداثة وتغير المسلمات والبديهيات فالتفسير للنص الديني يكون متلائم ومتناسب مع العقلية الدينية لهذا العصر مع القول بصحة وعقلانية التفاسير السابقة لأنها منسجمة مع

[٣١] تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، جزء ١، الصفحة ١٣٢

عقلية الزمن الذي فسرت به، والسؤال كيف خلقنا الله سؤال علمي ويجب الجواب ان يكون علمي ،

ولكن اذا كان السؤال لماذا خلقنا الله؟

هذا السؤال ديني لأنه متعلق بالله وبغايته من خلقنا فيجب ان يكون الجواب يحمل ادلة دينيه، طبعا هذا السؤال قديم وجديد في نفس الوقت والجواب التقليدي عند المشايخ ورجال الدين هو خلقنا للعبادة ويستشهدون بالآية الكريمة { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٣٢] الجواب صحيح أن المدعى ديني والدليل ديني لكن ليس من الضروري ان يكون جوابا صحيحا اذا تناسب الدليل مع المدعى ،وعندما طرح البعض سؤالا بأن إذا كان الله غني عن العبادة وأنه لا يحتاج إلى عبادة البشر فلماذا أمرهم بذلك ؟ وقد أجاب اغلب علماء المسلمين بأن هذه العبادة بالحقيقة هي لفائدة الناس وليس إلى الله ، بمعنى أنت إذا تعبد الله فسوف تفوز برضوانه والجنة وتتجنب عذابه في جهنم وقد اعتبروا أن هذه العبادة اي نحن نعبد الله سبحانه هو الغاية من خلقنا و وجودنا ، طبعا هذا الجواب وان كان يستدل بآيات قرآنية إلا انه غير منطقي وصحيح ولا يمكن اعتباره جوابا قاطعا بالحقيقة ، وذلك لجملة من الأسباب ومنها ، إذا كانت العبادة هيه التي بها نفوز في الجنة فهناء ستكون العبادة وسيلة وليست غاية فالغاية نهاية الشيء، فنحن في الحياة نعبد الله سبحانه وفي الآخرة تتم مكافئتنا على هذه العبادة أذا هذه العبادة وسيلة للفوز بالمكافئة وليست غاية لوجودنا ، وكان السؤال عن الغاية لا عن الوسيلة، وإذا كانت غاية الله من خلقنا العبادة لكن البشر لم تجتمع على عبادة الله وهنا تكون لدينا مشكلة كون الله كلي

---

[٣٢] الذاريات ٥٦

القدرة وأنه أراد شيء وهو عبادة الناس له ولم تتحقق، وحتى تتحقق هذه الغاية فلا بد من أمرين :

الأول : أن يصمم الناس على العبادة كما خلق الملائكة وهم مصممين للعبادة فقط، اما البشر فهم ليسو كذلك فهم لم يصمموا للعبادة فقط كالملائكة البشر يستطيعون أن يعبدون الله لكنهم ليسوا مصممين للعبادة فقط،

الثاني : أن يجبر الناس على العبادة حتى يعبدوه سواء كرها أو حبا، وطبعا إذا أجبر الله الناس على العبادة فهنا تكون العبادة بلا قيمة، القيمة للعبادة واي عمل أخلاقي يكون وانت حر وباختيارك تقوم به، من الاجوبة على هذا السؤال ما قاله جملة من العرفاء ، وهو كما أتى في الحديث القدسي وهنالك الكثير من علماء المسلمين لم يقبلوا بالحديث، إلا أن العرفاء والمتصوفة يصححونه كما نقله (محي الدين بن عربي)" كنت كزنا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني"[٣٣]، طبعا هذا الجواب غير كافي لأن الله سبحانه لا يحتاج أن نعرفه، بمعنى لا يحتاج أن يخلق ناس حتى يعرفوه ، يكفي انه يعرف نفسه وكذلك هذا الجواب فيه إشكالات ايضا مثلا إذا كانت غاية خلق البشر حتى يعرفون الله فقط فلماذا يختبرنا في الحياة ، وبعد ذلك يكون لنا عقاب أو ثواب لماذا كل ذلك إذا كان الهدف من وجودنا فقط معرفة الله.

[٣٣] محيي الدين بن عربي، فتوحات مكية جزء٣ صفحة ١٦٧

الجواب الأخر على هذا السؤال، هو أن الله خالق وهذه الصفة ذاتيه له والذاتي لا يعلل بمعنى أنه قوة مطلقة وعظيمة على الخلقة لذلك خلق الوجود ، وخلق الكائنات وفقا لهذا الجواب سيكون السؤال لماذا خلقنا الله خطأ السؤال نفسه، وذلك لأن الذاتي لا يسئل عنه ، يعني مثلا إذا كنت انت رجل صديقي القارئ فمن الخطأ أن اسألك لماذا أنت رجل لأن الرجولة كونك رجل هي من ذاتك ، أنت ذاتك رجل فاذا كنت طبيبا هنا يصح السؤال يصح أن اسأل لماذا أنت طبيب لأن كونك طبيب هذا عرضي عليك وليس ذاتي ، فالسؤال لماذا خلقنا الله خطأ اذا كان صفة الخالق ذات الله ، إذا كان الله خالق وهذه الصفة ذاتية لله فلا يجب السؤال لماذا خلق بل يجب أن نسئل لماذا لم يخلق الله إذا لم يخلق ، لكن هذا الجواب وأن كان منطقي بعض الشيء وأكثر عقلانية من الأجوبة السابقة لا أنه فيه مشكلة وهي مشكلة العبثية ، بمعنى إذا الله يخلق لكون صفت الخلق ذاتية فسيكون خلقنا وخلق الكائنات عبث بسبب أن الله ذاتي الصفة في الخلق ويخلق بلا هدف له او غاية خلقنا لأنه قوة عظيمة وغير متناهية على الخلقة ، وهذه مشكلة ويصبح هنا هذا الجواب غير مقبول و قد يثبت العبثية لله و هذا غير مقبول لأنه يتعارض مع الحكمة والعلم والإرادة الإلهية. عدم معرفتنا لماذا خلقنا الله لا يعني بالضرورة بأن وجودنا عبثا، فمثلا إذا لم نعرف ما هو المبرر من وجود الزائدة الدودية في جسم الإنسان، فيمكن القول اننا لم نتوصل لمبرر من وجودها، لكن عدم معرفتنا من مبرر لوجود الزائدة الدودية لا يعني من أنها بلا فائدة، قد يكون وجودنا بسبب الحب بمعنى أن الله خلقنا لأنه يحبنا وليس بسبب ما ذكرنا من الأسباب

كما قال (محيي الدين بن عربي)[٣٤] بمعنى انه الله سبحانه أراد أن يخلقنا وصنع هذه القوانين التي جعلتنا نرتقي ونتطور اما لماذا أراد فهذا لا يعرفه سواه ، وحتى إذا قلنا يحبنا وان كان مجازا الا انه يصح فالرحمة حب وجودنا من العدم حب أما الآية الكريمة { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[٣٥]

فهذه الآية تشير الى أهمية العبادة وتأثيرها على المؤمن وليس لكون العبادة هيه الغاية لوجودنا ، وحتى إذا افترضنا ان جواب خلقنا لأنه يحبنا غير صحيح وانه قد يكون هنالك غاية من وجودنا لا نعلمها والله فقط من يعلمها ، فلا توجد مشكلة في ذلك فليست مشكلة إذا لم نعرف ماهية غاية الله حرفيا من وجودنا.

حق الله وحق العباد عبادة الله تعالى

حق الله،

هو كلّ حق لله على عباده، في قبال حق الناس الذي يراد به كلّ حق للعباد على العباد، وتعتبر التكاليف الشرعية مثل الصلاة والصوم من حق الله، لكن ما هو نوعية هذا الحق؟ عند أغلب المسلمين الرأي التقليدي وهو أن حق الله على الإنسان كحق مولوي، بمعنى كحق المولى البشري على العبد البشري، وطبعا هذا قياس باطل ولا يصح فلا يمكن تشبيه الله بالبشر، أنّهم اي أصحاب التفسير التقليدي يتكلمون عن صفات الله وأفعاله وغاياته

[٣٤] الصدر السابق صفحة ١٦٧
[٣٥] الذاريات ٥٦

وكأنّهم يتكلمون عن إنسان، فيقولون بأنّه سيّد العقلاء مثلا ، فلابدّ أن يكون عقله كعقولنا ويفكر كما نحن نفكر ويفعل كما نفعل، يرى الفلاسفة والعرفاء أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك ، عالم الألوهيّة يختلف تماماً عن النظام الذي يحكم ذواتنا، ولهذا نجدهم يقولون بأنّ الإنسان السالك إلى الله يصبح إلهيّاً، لا أنّ الله يصبح إنسانيّاً.

لو فرضنا أن حق الله كحق المولى البشري على العبد البشري، أو كحق قانوني فهذه الحقوق تستلزم المعاقبة على المخالف، سواء كانت مخالفة العبد البشري لمولاه أو المخالف للقانون، وبالتالي هكذا نوع من الحق يكون جبري ويقود إلى الجبرية، فالعبد البشري وكذلك من لا يخالف القانون فهم مجبورين على ذلك خوفا من العقوبة، وأن القول بالجبرية مخالف ومتناقض مع الحرية والإرادة الحرة للإنسان التي فطر الله بها البشر، وحتى نتخلص من هذا الاشكال يمكن أن نقول حق الله حق أخلاقي، فلحق الأخلاقي لا يستلزم العقوبة،

فمثلا عندما يساعدك أحد أصدقائك وبعد فترة يحتاج إلى المساعدة ،فمن الواجب الأخلاقي أن تساعده لكن هذا الواجب واجب أخلاقي فلا عقوبة عليك أن لم تساعده، لذلك يعبر العرفاء عن حق الله بأنه رد المنعم رد الإحسان بالإحسان، فيمكن القول بأن حق الله حق أخلاقي لا يستلزم وجود العقوبة، فإذا قلنا بالحق الأخلاقي تكون الطاعة لله وكل الأعمال التعبدية مع حرية الإنسان وارادته فلا يكون الإنسان مجبور على عمل ما.

ولو سئلنا لماذا نعبد الله؟

وفقا للحق الأخلاقي تكون عبادتك لله وانت حر، تعبد الله باختيارك، لكن لماذا نحن نعبد الله؟ الرأي السائد هو نحن بعد الله كونه هو الخالق لنا فهو من اوجدنا من العدم وهو الذي يرزقنا ويمن علينا والخ، لكن هذا الجواب السائد فيه مشكلة، وهي نحن لم نطلب من الله سبحانه أن يخلقنا، أما كونه يرزقنا ويساعدنا، فهذا حقنا عليه، مثلا لو قمت صديقي القارئ بزراعة وردة فمن واجبك أن تسقيها وتحافظ عليها وإلا لماذا تزرعها.

لكن الواجب الأخلاقي والفطرة الإنسانية تحثنا على عبادة الله ليس لكونه خلقنا أو لكونه يساعدنا، بل لكونه هو الله وهذا يكفي، عندما يحب الإنسان أمه فحبه لها ليس لكونها ولدته أو ربته بل يحبها كونها أمه فقط بلا مصلحة، لكن القول السائد وهو تشبيه الله بالسيد البشري والذي يستدعي العقوبة على العاصي، فتكون العبادة أما من خوف من العقوبة أو طمعا بالمكافئة وبالتالي هذه العبادة لا تخلي من المصلحة وكذلك لا تخلي من الاجبار لكون هنالك عقوبة، لكن بالاعتماد على القول بالحق الأخلاقي تحل كل هذه الاشكالات،

كما روي **عن (الإمام أمير المؤمنين) قال: "إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار"**[٣٦]

[٣٦] نهج البلاغة، السيد الرضي، جزء ١، صفحة ٥١٠

هنا يشـير الإمام إلى العبادة الحرة التي تخلوا من المصـلحة وتكون بختيار الإنسـان، والواجب لإقامة هذه العبادة واجب أخلاقي، لذلك يقول(الإمام علي) "**إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**"[٣٧] السبب في عبادة الله كما يشير الإمام علي ليس لكونه خلقنا أو يرزقنا، بل لكونه هو الله العظيم الكمال المطلق فهو اهلا لذلك،فعبادتنا الله عبادة شكر فنحن شكره على كرمه والواجب الأخلاقي يحث عليها، والكريم عندما يكرم لا يكرم من أجل مصلحة أو غاية، الله هو كلي الكرم فكرمه مطلق.

هل هنالك فوائد وأثار للصلاة؟

الصلاة في الحقيقة هي للإنسان وليس لله فإن الله غير محتاج لتلك الصلاة أو الدعاء، وهنا يطرح سؤال مهم إذا كان الله لا يحتاج لعبادة الناس له، فلماذا نعبده ؟ كما استنتجنا وذكرنا أن العبادة عبادة شكر لله وفق الحق الأخلاقي فتكون العبادة طلب بشـري، بمعنى نحن من يحتاج تلك الصـلاة ويطلبها، وذلك للفوائد المعنوية والنفسية التي نحصل عليها بسببها. للصلاة أو الدعاء، إنما هي لفائدة الإنسان واكيد لها أثار وفوائد وهي فوائد نفسـية ومعنوية، بحيث يشـعر المصـلي بقوة العلاقة والاتصـال بينه وبين الله، وهذا الشـعور من القرب للكمال المطلق يجعله بحاله رائعة من السـكينة والطمأنينة، يقول الدكتور (توماس هايسلوب) " إن من أهم مقومات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة قضيتها في الخبرة والتجارب، هو الصلاة وأنا القي هذا القول بوصفي طبيب، فإن الصلاة

[٣٧] منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، الشيخ عباس القمي صفحة ٣٢

اهم أداة عرفت إلى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب[٣٨]، الصلاة لله عمل عظيم ويرجع بفائدة إلى الناس، شعور التعب النفسي والقلق اللذان يصيبان الإنسان بسبب ضغوط الحياة ومشاكلها، الصلاة من أهم الوسائل العلاجية لمثل هذه الحالات، ينقل (ديل كارنيجي) عن استاذ الفلسفة بجامعة هارفارد(وليم جيمس) قوله " إن أعظم علاج للقلق، ولا شك، هو الإيمان "[٣٩]،لذلك نجد أغلب أطباء النفس ينصحون بممارسة الصلاة لتخفيف من حدة التوتر والقلق، الأطباء الذين ليسوا بمؤمنين يقول (الدكتور هنري لنك) :" انني كنت في بعض الأحيان، إن لم يكن في أغلبها، انصح المرضى بتباع بعض تعاليم الكتاب المقدس، وقراءة بعض آياته و اوصيهم بتباع عقائد معقولة، مع كوني بعيدا جدا عن الإيمان بذلك والاعتقاد فيه، وفي هذا ضرب من التناقض السلوكي كطبيب نفساني، إن أصف وأنصح بما لا اؤمن به، لاكنك ستمنحني العذر عندما اصرح لك بأنني رأيت عجز المعلومات النفسية والعلمية عن تقديم النصيحة الأزمة في كل الأحوال، فما هي بالحاسمة ولا هي بالكافية لسد حاجات أولئك الذين سعوا إلي يبغون النصيحة والإرشاد"[٤٠]، فضلا عن أن الإنسان المؤمن عندما يمارس طقوس العبادة يشعر بالرضا في نفسة مما يعزز هذا الشعور الايجابي الثقة بالنفس، يقول الدكتور(أ.أ.بريل) :"

[٣٨] دع القلق وأبدأ الحياة، ديل كارنيجي، تعريب عبد المنعم محمد، صفحة ٢٦٣_٢٦٤
[٣٩] المصدر السابق، صفحة ٢٠٩
[٤٠] العودة إلى الإيمان،د هنري لنك، ترجمة د ثروت عكاشة الصفحة ١٦_١٧

إن المرء المتدين حقا لا يعاني قط من مرضا نفسيا"[٤١] وبهذا يمتاز المؤمن من غيره بالفوائد النفسية والمعنوية التي يجنيها بصلاته والتقرب إلى الله.

عالم الأخرة الثواب والعقاب

في البداية يجب أن نتفق بأن عالم الآخرة أو عالم الغيب لا يمكن ويستحيل إثباته أو نفيه عقليا، واما الخيال إذا أراد تخيل ذلك العالم فلا يمكن له لأن الخيال يتصور صور من عالمنا وما نحسه ونشاهده، قد يتمكن الخيال من التلاعب بالصور والأشكال لاكن لا يمكن أن يرسم أو يتصور ما لم تكن عنده صورة مسبقة للمتخيل، كل الأديان من معتقداتها الإيمان بعالم آخر يكون بعد هذا العالم، و هذا الاعتقاد اعتقاد معقول إذ لا يمكن للوعي البشري أن ينتهي مع نهاية الجسد المادي، لكن هنالك الكثير من الغموض الذي يسيطر على ذلك العالم لأنه عالم لا يمكنك مشاهدته أو تجربته إلى بعد الموت، ومن الأمور الغريبة والتي ينلقها التراث الإسلامي هو (عذاب القبر) وطبعا السواد الأعظم من المسلمين يعتقدون بوجود هذا العذاب، قضية عذاب القبر لم تذكر القرآن البتة بل أن هنالك آيات تؤكد على عدم وجود هذا العذاب، لكن قبل أن نتطرق إلى ذكر الآيات لا بد من ذكر ملاحظة مهمة وهي : أن مسألة عذاب القبر تتناقض مع العدالة الإلهية لأنه ليس عدلا أن يتم تعذيب المرء قبل أن يحاسب، والأمر لا ينتهي هنا لو أن إنسان مات قبل عشر الأف سنة وكان شخص طالح سيعذب في قبره، وهنالك شخص كذلك طالح فمات قبل يوم القيامة بيوم واحد فسيعذب الأول ويعفى الثاني، فمسألة عذاب

[٤١] دع القلق وأبدأ الحياة، ديل كارنيجي، ترجمة عبد المنعم محمد، صفحة ٢١١_٢١٢

القبر تناقض واضح وصريح مع العدالة الإلهية، الآيات التي تنفي وجود عذاب القبر، الآية

{ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [٤٢]

تشير الآية على أنه في موتها تكون نسيا منسيا بمعنى يخلصها الموت من الأمها النفسية و الجسدية، كذلك الآية التي تقول

{ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [٤٣]

وهذا يدل على أن الميت هو راقد أي نائم نوما عميق فلو كان هنالك عذاب فلا يمكن أن يعبر القرآن عن هؤلاء بأنهم بعثوا من مرقدهم،

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [٤٤]

وهنا يشير القرآن على أن الأموات فقدوا كل حواسهم فهم لا شيء يذكر، خرافة عذاب القبر والتي تخالف العدالة الإلهية وكذلك صريح القرآن.

.

---

[٤٢] مريم ٢٣

[٤٣] يس ٥٢

[٤٤] فاطر ٢٢

المحطة الأخيرة ،الجنة، جهنم

جهنم أو الجنـة هو المحطـة الأخيرة في عـالم الآخرة ونحن سوف نركز على جهنم، كون جهنم عليها بعض الملاحظات، جهنم ذكرت كثيرا في القرآن والتي تعتبر عنـد علمـاء المسـلمين ادلة نقلية لوجود جهنم، لكن هنالك ادلة غير النقلية وهي :

الأول الحكمة : بما أن الله حكيم فالحكيم لا يخلق خلقا عبثا بل من أجل غاية، واذا كان وجودنا مقتصر في هذه الحياة ولا شـــيء بعد الموت، فلن تكون هنالك غاية من وجودنا وهذا عبثا ومنافي للحكمة،

الثـاني العدالـة : أن الله عـادل ومن العدالـة أن يـأخذ بحق المظلوم من الظالم، وبما أن أغلب الظالمين لم ينالوا جزائهم في هذه الحياة فينالوا جزائهم في الآخرة،

الملاحظـات حول جهنم ليســـت قليلـة، وبمـا أن جهنم محل عقوبة المجرمين، فيمكن أن نســئل لماذا تفرض العقوبة على من يقوم بجريمة ما، بمعنى ما هو الهدف من إقامة عقوبة بحق المجرم؟ وأهم الأسباب والغرض من إقامة العقوبة :

اولا : عندما يسجن مجرما فمن الأسباب هو الإصلاح وإعادة التـأهيـل للمجرم، فتكون العقوبـة من أجـل تربيـة المجرم وتأديبه،

ثانيا : تكون العقوبة بحق المجرم هي من أجل إقصـاء وعزل المجرم من المجتمع، حتى نؤمن على المجتمع من جرائم هذا المجرم،

ثالثا : هو من أجل الأخذ بحق المظلوم الذي اجرم المجرم بحقه، ويكون المجرم بعد أن تتم معاقبته عبرة للمجتمع.

فهذه الأسباب التي بها نعاقب المجرم، وبالتالي فستكون العقوبة وسيلة من أجل تحقق غرض منه وهو أحد الأسباب المذكورة، لكن في جهنم لا يوجد هنالك ولا سبب من هذه الأسباب، فلو قلنا العقوبة في نار جهنم من أجل إعادة تأهيل المجرم وتأديبه، فهذا لا يصح لأنه لا توجد حياة بعد جهنم سوف يعيشها المجرم، واذا قلنا وجود العقوبة في جهنم من أجل إقصاء المجرم عن المجتمع، فهذا أيضا لا يصح لأنه لا وجود للمجتمع في الآخرة، فهم اما من أهل النار أو من أهل الجنة، أما لوقلنا بأن وجود جهنم من أجل الأخذ بحق المظلوم، فهذا أيضا لا يصح لأن المظلوم في الجنة وأهل الجنة اصبحوا قمة في التسامح والرضا والصفاء وقد نزع الله الغل عن قلوبهم فهم لا يلتفتون على من ظلمهم.

الملاحظة الأخرى هي طريقة العذاب لأن منطيقا والأهم عدلا يجب أن تكون العقوبة بمقدار الجريمة و هذا من العدل مثل القتل بالقتل، أما أذا قلنا شخص قتل شخص بريء فهذه جريمة ويستحق عليها العقاب، لكن أذا كانت العقوبة في جهنم خالدا أبدا فستكون العقوبة أكبر من الجريمة و هذا مخالف للعدالة وأنه لا توجد جريمة تستحق العذاب الأبدي الخالد، لذلك ذهب صدر المتأهلين وابن عربي وغيرهم إلى القول بعدم خلود المعذبين في جهنم، لأن كما اسلفنا بأن القول بخلود العذاب إلى الأبد يكون فيه تناقض مع العدالة.

{ مَنْ يُضْـــلِلْ اللَّه فَلَا هَـادِيَ لَـهُ وَيَـذَرهُمْ فِي طُغْيَـانـهمْ يَعْمَهُونَ }[٤٥]

{ إِنَّك لَا تَـهْدِي مَنْ أَحْبَبْت وَلَكِنَّ اللَّه يَـهْدِي مَنْ يَشَاء}[٤٦]

الآيات كثيرة التي تتحدث عن أن الهداية والضـــلال من عند الله، فإذا كانت من عند الله فكيف يعذب من لا يهدي، وان هذا الضـال إذا كان ضـالا لأن الله ضـله فلما يعذبه؟، وهنالك مثل يوضـــح هذا الســـؤال : هنالك امرأة عجوز لديها ثلاث ابناء الأول مات وهو في سن السبعون عام ، والثاني مات وهو في ســـن الخمســـة والثلاثين عام ، والثالث مات وهو في ســـن الخمسة أعوام ، وفي عالم الأخرة حصل كل منهم على جزائه الاول صاحب السبعون عام أدخله الله في جنة الفردوس ، أما الثاني الذي مات هوه في الخمســـة والثلاثين من عمره ادخله الله النار لســـوء أعماله أما الثالث صـــاحب الخمس ســـنوات ادخله الله جنة الخلد والتي تعتبر أقل الجنان من ناحية المراتب هنا سأل الطفل الله إلهي لماذا لم تدخلي في جنة الفردوس مثل أخي الكبير ، فقال له الله ســـبحانه يا عبدي أن أخاك بلغ من العمر سبعين عام وهو افنى عمره في الورع والتقوى والعمل الصـــالح، أما أنت لم تدرك شـــيء ولم تعمل شـــيء وبرحمتي ادخلتك جنة الخلد وليس عدلا أن تكون معه هو الذي عمل وعبد واطاع ،

---

[٤٥] الأعراف ١٨٦

[٤٦] القصص ٥٦

فقال الطفل إلهي لماذا توفيتني ولم تبقني حتى أعمل مثل أخي واحصـــل على نفس الجنة، فقال له الله يا عبدي أنا برحمتي توفيتك لأني أعلم لو ابقيتك فعندما تكبر ســـتنحرف ويكون مصـــيرك النار، هنا قال الثاني صـــاحب النار ياإلهي لماذا لم تتوفاني عندما كنت صـــغير وأنت تعلم إني ســـنحرف عندما أكبر وسـيكون مصـيري النار ، وهذه المعضـلة تعد أشـكالا على العذاب الأبدي في جنهم. ذكرنا ســـابقا بأن جملة من ألفلاســـفة وأصـــحاب العرفان من المســـلمين قالوا بانقطاع العذاب على أهل جهنم، وإنـه لا يوجد هنـالك خلود أبـدي لأهلها، واعتبر (محيي الدين بن عربي) أن العذاب منقطع ومآله اللذة والنعيم، فيقول : "وأما اهل النار فمآلهم الى النعيم، ولكن في النار، اذ لا بد لصـــورة النار بعد انتهاء مدة العذاب ان تكون برداً وســـلاماً على من فيها، وهذا نعيمهم، فنعيم النار، بعد استيفاء الحقوق، نعيم خليل الله حين القي في النار، فانه عليه السلام تعذب برؤيتها وبما تعود في علمه وتقرر من انها صـــورة تؤلم من جاورها من الحيوان"[٤٧]وبما أن الله كلي الرحمـة وأرحم الراحمين فلا يصـــدر من الخير و الرحمـة المطلقة إلا العطف واللطف، فيذهب (ابن عربي) من هذا المنطق فيقول : " لو ان الله تعالى فوض أمر خلقه إلى أحد من عباده وقدّره ومكّنه من التصـرف فيهم، وكان خيّراً غنياً، لأزال العذاب عنهم، وهذا الراحم أنا وامثالي، وهو تعالى أرحم الراحمين"[٤٨] أن صـــفة الرحمـة الإلهيـة تســـبق كل الصفات، وانها وسعت كل شيء والكل ستناله هذه الرحمة،

[٤٧] شرح فصوص الحكم ٥٦٥

[٤٨] ملا صدرا الشيرازي، الشواهد الربوبية، صفحة ٣١٩

ويرى (صـــدر المتـأهلين) أن الله هو الخير المحض ولا يصـــدر منـه إلا الجود والكرم على المخلوق "حيث ان الله خـالق العبـاد وهو مبـدئهم ومعـادهم، وشـــأن العلـة الفـاعلـة الافاضة والايجاد على معلوله، اذ ليس المعلول الا رشحة من رشـــحات وجوده ولمعة من لمعات وجوده، والتعذيب الابدي ينافي الايجاد والعلية. وايضـاً فان ذاته محض الرحمة والخير والنور، وكل ما يصـــدر عنه يجب ان يكون من باب الجود واللطف والكرم، ووجود العاهات والشـــرور انما يكون عنه بالعرض وعلى سـبيل الشـذوذ والندرة، ولأنه سـبقت رحمته غضـبه، فان الرحمة ذاتية والغضـب امر عارض، والعارض الاتفاقي لا يكون اكثرياً ولا دائمياً "ويقول أيضـــا عن جهنم " إن المخلوق الذي غاية وجوده أن يدخل في جهنم بحســـب الوضـــع الإلهي والقضـــاء الرباني لا بد أن يكون ذلك الدخول موافقاً لطبعه وكمـالاً لوجوده، إذ الغـايـات كمـا مرّ كمـالات للوجودات، وكمال الشـيء الموافق له لا يكون عذاباً في حقه! وإنما يكون عذاباً في حق غيره ممن خلق للدرجات العالية"[٤٩] وهذه التفسـيرات التي تفيد بعدم خلود العذاب على أهل النار، تعد حلا يتوافق مع العدالة والرحمة الإلهية التي وســـعت كل شـــيء، بل أن القول بنفي العذاب على أهل النار يكون أكثر توافق مع الرحمة والعدالة الإلهية، وبهذا الصـــدد صـــرح البعض بنفي اللعن والعذاب في الاخرة حتى بحق

[٤٩] صدر المتأهلين، الاسفار الجزء ٩ صفحة ٣٥٢

(ابليس) فضـــلا على الإنســـان، فكمـا يقول الجيلي : "لا يلعن ابليس، اي لا يطرد عن الحضـــرة الالهية، الا قبل يوم الدين لأجل ما يقتضيه اصله، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الالهية، وأما بعد ذلك فان الطبـائع تكون لهـا من جملـة الكمـالات، فلا لعنـة بـل قرب محض. فحينئـذ يرجع إبليس إلى مـا كـان عليـه عنـد الله من القرب الإلهي بعد زوال جهنم، لأن كل شـــيء خلقه الله لا بد ان يرجع الى ما كان عليه.. قيل أن إبليس لما لُعن هاج وهام لشـدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسـه، فقيل له: اتصـنع هكذا وقد طُردت من الحضـــرة؟ فقال: هي خلعة افردني بها الحبيب لا يلبسـها ملك مقرب ولا نبي مرسـل"[٥٠] فهذه الروى والتفاسير حول عذاب جهنم تخلصنا من كل الإشكالات والتناقضات عن الرحمـة والعدالـة المطلقـة، وتثبـت الرحمـة وان ينـالهـا كـل مخلوق.

أن الآيات القرآنية التي تتكلم عن الأخرة والعذاب الأبدي لا تتكلم عن حقيقة خارجية، وان الآيات بهذا الصدد صادقة وان لم تطـابق الواقع فـالحقيقـة ليس مـا طـابق الواقع فقط، ويمكن القول أن ذكر جهنم والعذاب الخالد في القرآن جاء كمثل لأخذ العبرة والموعظة منه، يرى (الدكتور محمد عابد الجابري)، أن القصـــص في القرآن تكون من أجـل المثـل، والمثـل لا يضـــرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل العبرة، فيقول : " وبما أن القرآن يســـتعمل القص لأهداف الدعوة، وليس من أجل القص في ذاته فإن قصـصـه على الرغم من أنها قصـص أنبياء فعلا، فإن حكيه لا يخضـــع لمســـار حياة الانبياء الذين يورد قصـــصـــهم، بل يعرض كل مرة ما يناســـب الدعوة

[٥٠] عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (الجيلاني)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، الباب التاسع والخمسون، في النفس، صفحة ٩٥

المحمدية في مرحلة من المراحل، القصـص القرآني هو نوع من ضـــرب المثل...من أجل العبرة من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل"[٥١] وبالتالي يمكن أن يكون ضـــرب المثل ليس فقط في القصـــص، بل حتى عن أحوال جهنم والعذاب الأبـدي فيمكن القول بـأنـه نوع من ضرب المثل.

وإذا فرضـــنا أنه ثمة عذاب أبدي في الآخرة فلا يمكن أن يصـف لنا الله في القرآن عن ماهية ذلك العذاب، والسـبب في ذلك يرجع إلى أن اللغة وأن كانت دقيقة لكنها تقف عاجزة عن وصـــف ذلك العالم، ثم نحن لا نســـتطيع أن نتخيل عالم الآخرة فضـلا عن تصـوره، فالعجز الذي في اللغة وفي عدم تصـــورنا لذلك العالم اوجب وجود الامثال في القرآن عنه، ســـواء كانت ثواب بمعنى الجنة أو العقاب بمعنى النار، لكن كما ذكرنا أن الإشكالات حول جهنم والعذاب الأبدي ليس فقط بعجز اللغة أو التصـــور البشـــري، إنما قد يكون في الرحمة والعدالة الإلهية لذلك وبما أن الله سبحانه كلي الرحمة والعدالة فنحن أمام خيارين :

الأول : أن نقول هنـالك عقوبـة في الآخرة لكنهـا مؤقتـه غير أبدية، وأنها لا تقع بســبب مســائل تعبدية كالصــلاة والزكاة والصوم اي لا تقع بسبب الواجبات الأخلاقية، إنما بسبب رد حق المظلوم (وأن كان المظلوم من أهل الجنة ونزع الله الغل من قلبه وأصبح قمة في التسامح) مثلا إذا كان هنالك شخص

[٥١] الدكتور محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، جزء ١ ،صفحة ٢٥٧_٢٥٨

ما اجرم بحق شـــخص، ولم ينال هذا المجرم جزاءه في الدينا فتتم معاقبته معاقبة مؤقتة بمقدار جرمه.

الثـاني : لا وجود لجهنم والعذاب الأبدي وأن القرآن الكريم ضـرب لنا الأمثال وأنها اي جهنم لا تمثل واقع خارجي، وأن الرحمة الإلهية تشمل كل المخلوقات لأنها وسعت كل شيء.

وبهذه القراءة عن الدين نحل كل الاشكالات والتناقضـات ولا تكن هنالك اشكالات عقلية تستدعي ترك أحدهما.

وفي النهاية شـكرا لك صـديقي القارئ على وقتك الذي بذلته في قراءة هـذا الكتـاب، صـــــديقـك علي جبـار شـــولي.